خولة درويش

أولويات المرأة المسلمة

دار المعالي

أولويات المرأة المسلمة

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م

دار المعالي

عمان ـ الأردن

وكيل التوزيع

مؤسسة المؤتمن للتجارة والتوزيع السعودية ـ الرياض

هاتف: ٢٤٣٥٤٢١ فاكس: ٢٤٣٥٤٢٣

خولة درويش

أولويات المرأة المسلمة

دار المعالي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــة

الحمدلله رب العالمين القائل: ﴿**يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه**﴾ والصلاة والسلام على رسوله الهادي الأمين القائل «ومن رغب عن سنتي فليس مني» وبعد:

إن الحياة دار كفاح وكدح...، تكثر فيها المشكلات، وتتضارب الآراء حول الحلول الناجعة، والأولويات الراجحة.

وأصبح عصرنا عصر تخطيط وبرمجة، بعيداً عن التخبط والاضطراب.

وطالما أن المرأة هي أولى مكونات المجتمع فلا بد لها من فهم الأولويات في حياتها، حتى تشق طريقها على أسس علمية شرعية وهذا ما دفعني لكتابة هذا البحث.

إن كثيراً من أعمالنا تفتقر إلى الضوابط الشرعية، وعدم وضوح الرؤية لما علينا من واجبات وما لنا من حقوق. وهذا ما يؤدي إلى التعثر والتخبط في الوصول إلى مبتغانا.

ولكم هدمت أسر بسبب تضارب الأولويات مع الثانويات وعدم اتفاق الزوجين على هدف محدد، فتصارعت الرغبات بين زوج يريد عمل زوجته خارج المنزل بحجة زيادة دخل الأسرة مثلاً وهي تريد خلاف ذلك، فتأبى إعطاءه من راتبها لأنها ترى أن مهمة المرأة الأساسية كونها زوجة وربة أسرة، وليست رافداً اقتصادياً للأسرة أو مورداً مادياً لها!

أو لأنها لا ترغب في العمل خارج المنزل أصلاً!

وقد تكون القضية معكوسة، إذ الزوج يصر على رفض عمل زوجته خارج المنزل!

فإذا كانت الدول الواعية تحرص على التخطيط المستقبلي للوصول لهدفها، فما الأسرة إلا صورة مصغرة للمجتمع. فلا بد لها من ترتيب أولوياتها وتنظيمها لئلا تقع في المشاكل مستقبلاً.

إن أول واجباتنا أن لا نكتفي بالشكوى، فهي سلاح العاجزين، ولن يغني عنهم شيئاً. كما أن الأمور لن تغيرها النوايا والآمال - على أهمية ذلك في التغيير-. فلنبدأ من داخل أنفسنا فنجعل حياتنا كلها لله سبحانه وتعالى.

ومن ثم نضع كل شيء في موضعه المناسب.

وكأني بالبعض يقول: علام تريدون من المرأة أن تهتم بالأولويات ونحن نجد الكثير من الرجال يضيعون أعمارهم سدى؟!

أما إنه ما دام حديثنا عن المرأة، فالناجحة هي من تحسن التوفيق بين الواجبات المختلفة، فإذا ازدحمت عليها تلك الواجبات، فلا تنهزم أمامها، بل لا بد من تقديم الأولويات.

وبالاطلاع على ما تحت أيدينا مما كتب في هذا الموضوع نجد أن الكتب والمقالات فيها آراء مختلفة حول هذا الموضوع. وبعد قراءات حول تلك الآراء، وجدنا أنها تدور حول: الأمور الصعبة أولاً .

ولقد قيل: أحسن التخطيط تصل لأحسن النتائج...

وقيل: عليك بالمهم أولاً...يسمونها يوماً جدول إيزنهاور، ويوماً جدول الأهمية أو إدارة الوقت...

وفي عودة إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله (صلوات الله وسلامه عليه) وما ذكره فقهاؤنا الأعلام (رضوان الله عليهم) -في هذا الموضوع- نجد أن التمسك بالثوابت هو أول الأولويات.

وليس في آراء الغربيين جديد ذو بال، أمام ما ذكره فقهاؤنا في هذا الموضوع

استناداً إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وقد جاء البحث موزعاً على ثلاثة فصول.

الفصل الأول: تمهيد حول الإخلاص لله وحده وتزكية النفس.

والفصل الثاني: حول الأولويات في ميزان الأصوليين والإداريين والتربويين.

والفصل الثالث: يبحث في الأولويات في حياة المرأة المسلمة:

فـالعـقـيدة أولاً- ثـم العلم وأولوياته، وتحـدثنا عن العبـادة والعـمل الصـالح، وعملها في المنزل ومن الأولويات التخلص مما يهدر الوقت.

وغني عن القول أننا نريد إلقاء الضوء على أولويات المرأة المسلمة التي التزمت بتعاليم دينها، وتقـصد أن تكون عبادة الله وتوحيده أول اهتمامـاتها، مع ما يتعلق بهذا الهدف من تربية وتوجيه، والسعي لتطبيق دينها في باقي أمور حياتها.

أما المرأة التي تعيش في جاهليتها المعاصرة، سواء أكانت في ديار المسلمين، أو في ديار اليهود والنصارى، وكذا الأمم المشـركة... فلا يعنينا أمرها، لأن أولوياتها تتمثل في قـضايا المظهر والجنس وكذلك الطعـام والشراب وكماليـات الحياة ولا تتعداها!

أسأل الله تعـالى أن يعيننا لتـحقـيق أهدافنا وتعزيز قـدراتنا، وأن نوفق لتحـقيق غاية وجودنا في عمارة الأرض على هدي الإسلام، إنه سميع مجيب.

الفصل الأول

تمهيد

١- المرأة والرجل في التكليف سواء.

٢- الإخلاص لله والنية الصالحة أساس لصحة العمل.

٣- هل المشقة مقصودة في التكليف؟

٤- تزكية النفس.

«١»

المرأة والرجل في التكليف سواء

سؤال يدور في خاطر أخواتي المؤمنات: لماذا المرأة على الخصوص! أوليست المرأة والرجل في التكليف سواء؟!

حقاً إن الأصل هو شمول أمور الشريعة للرجل والمرأة. فالمسلمة لا تختلف عن الرجل في التكليف إلا ما جاء من أدلة تختص بأحدهما كأمور القوامة للرجل، والحجاب والعدة للمرأة ونحوها....

وحسناً ما قاله «مراد هوفمان»(١) وهو يصف مكانة المرأة المسلمة بالنسبة إلى مكانة الرجل بأنها: «المساواة في الكرامة مع اختلاف الأعباء، والمساواة في المنزلة مع اختلاف الأدوار، والمساواة في القيمة مع اختلاف القدرات».

فالعبادة والعمل ليست من نصيب الرجل وحده. ولقد كانت النسوة من سلفنا الصالح وفي خير القرون، يشهدن الجمعة والجماعات، ويحضرن مجالس العلم... ولقد تساءلت أم سلمة (رضي الله عنها) فقالت:

- يا نبي الله، مالي أسمع الرجال يُذكرون في القرآن والنساء لا يذكرن، فأنزل الله تعالى الآية:

﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾.(٢)

---

١) يوميات ألماني مسلم، مراد هوفمان، ص ٢١٤.

٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٥، وينظر تفسير ابن كثير، جـ٣/٥٣٦.

فعلام يرضى البعض بحياة الدعة والسكون؟ هلا تهيأنا جميعاً رجالاً ونساءً للرحيل بعمل صالح يصلح للقاء الله عز وجل؟!

نلتزم بالمعيار الشرعي، ونتقيد بالنص من الكتاب والسنة، ونقدمه على العقل وإلا ﴿**فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم**﴾ كما قال الله تعالى.

وما أحسن أن تسمو أمنياتنا وتطلعاتنا!

لكنها ستكون بمنتهى السذاجة إن لم تكن واقعية ولم نراع الأولويات في حياتنا!

فإحدى النسوة وعند التعارف معها قالت: إن أمنيتها أن تصبح داعية! تقول ذلك وهي نصف متبرجة.

هلا سترت جسمها أولاً، ومن ثم تدعو الأخريات؟!

هلا عرفت فقه الحجاب والتزمت به، وراقبت الله تعالى في نفسها قبل الأمنيات، وعلمت مكانتها في هذا الوجود ورسالتها في الحياة، وبذلت جهدها لطاعة ربها فذلك أولى من عالم الأماني!

فإذا كان الغرب الكافر يؤكدون في دراساتهم على أهمية رسالة المرء في الحياة، وأنها تعطيه القاعدة الأساسية التي في ضوئها يقرر على أي حائط سيسند السلم الذي سيصعد عليه إلى أعلى.(١)

وأن السعادة الحقيقية في الحياة هي أن تقضي حياتك من أجل هدف تعتقد أنه هدف مقدس «كما يقول برناردشو».

فما بال الكثير يقبلون على العمل حسب تعاليم دينهم بحذر وعلى استحياء، وكأن التدين تهمة أو وصمة يحبون تجنبها؟!

---

١) إدارة الأولويات، ص ١١٥، تأليف ستيفن ر. كوفي، دروجر ميريل، ريبكا ميريل، ترجمة: د. السيد المتولي حسن، ط١/١٩٩٩م، نشر مكتبة جرير، الرياض.

فلا بد للمرء أن يعيش لهدف كي يشعر بمتعة السمو والإنجاز والترفع عن السفاسف.

إذ ليس المهم الحياة، أية حياة، بل المهم جودتها، وإلا مضت وذرتها الرياح، وعفى عليها الزمن.

وليس أفضل من مرضاة الله عز وجل سبيل للفوز بالدارين، وللتنعم بسعادة الدنيا والآخرة. وأكرم به من هدف سامٍ يسعى الجميع رجالاً ونساءً لتحقيقه، وينشطون للفوز به.

«٢»

الإخلاص لله وحده، والنية الصالحة أساس لصحة العمل

(الإخلاص: هو تخليص العمل من الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه. وهذا لا يتصور إلا من محب لله، مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق للدنيا في قلبه قرار).[١]

وهو أساس لصحة العمل وسبيل المرء إلى التوفيق.

ولقد قال الفضيل (رحمه الله): العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه.

قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل. وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل. **والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة.**

ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم الله المنافقين، وقد قال الله تعالى: **﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾**.

فكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل. كما أن كل عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله. ولا يستفيد صاحبه منه شيئاً في آخرته.

(فإذا ترك السيئات لغير وجه الله لم يثب عليها وإن لم يعاقب عليها. وإن تركها لوجه الله أثيب عليها. ولا يكون ذلك إلا بما يقوم بقلبه من رجاء رحمة الله أو خشية عذابه...

فتبين أن الورع لا يكون عملاً صالحاً إلا بفعل المأمور به من الرجاء والخشية. وإلا فمجرد الترك العدمي فلا ثواب فيه).[٢]

ومن علامة الإخلاص في الدعوة: الانفعال بها والتحمس لها وبذل أقصى

---

١) الموافقات للإمام الشاطبي، ١٤٧/٢.

٢) الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ١٤٥/٢٠.

الجهد في تبليغها. وذلك لأن من أخلص لشيء أعطاه كل ما يملك. فماله ووقته وفكره وكل إمكاناته تصبح في خدمة دعوته.

ومن إخلاص العابد: خجله من عمله. وهو شدة حيائه من الله إذ لم ير ذلك العمل صالحاً له مع بذل مجهوده فيه.

قال تعالى:﴿**والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون**﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**هو الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه**».

فالمؤمن جمع إحساناً في مخافة وسوء ظن بنفسه. والمغرور جمع حسن الظن بنفسه مع إساءة.[1]

ولقد قال الله تعالى:﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً**﴾.

فيجب التحرز عن الأمور المهلكات والبعد عن الرياء والتصنع للخلق وإلا خابت وخسرت من لم تتورع عن ذلك وأبطلت عملها بمسايرة ركب الغافلات فلم تصحح نيتها وتخلص في عملها.

فبالإخلاص الذي يحبس القلب عن الإلتفات إلى غير الله تحبس الجوارح عن المعاصي والشهوات. ويعقل اللسان فلا يتلفظ إلا بما فيه خير وصلاح. وكل مؤمن مخلص لله تعالى تهون عليه الدنيا بأسرها أمام مرضاة الله: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد**﴾.[2]

(وإذا ذاق القلب طعم عبادة الله والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك ولا ألذ ولا أطيب. والإنسان لا يترك محبوباً إلا بمحبوب آخر يكون

---

١) تهذيب مدارج السالكين، ٣٢، كتبه ابن القيم وهذبه عبدالمنعم العربي، ط١/١٤١٣هـ، نشر مكتبة السوادي، جدة.

٢) سورة البقرة، الآية ٢٠٧.

أحب إليه منه أو خوفاً من مكروه...

فإن ذاق طعم الإخلاص، وقوي في قلبه انقهر له هواه بلا علاج).[1]

بالتعود لأن يستعمل كل شيء لله، ويصرف هواه إلى ما ينفعه يحصل المقصود. لأن من عوّد نفسه العمل لله لم يكن عليه أشق من العمل لغيره. ومن عود نفسه العمل لهواه وحظه لم يكن عليه أشق من الإخلاص والعمل لله. وهذا في جميع أبواب الأعمال. فليس شيء أشق على المنفق لله من الإنفاق لغيره، وكذا بالعكس).[2]

فالصدق في الإخلاص من أشق الأمور على النفوس. وهذه المشقة لا يعاني منها عوام الناس ودهماؤهم دون العلماء والأئمة والصالحين فقد لاقوا هذه المعاناة.

يقول سفيان الثوري-رحمه الله- ما عالجت شيئاً علي أشد من نيتي إنها تتقلب علي.

ولذلك كان الرسول(صلى الله عليه وسلم) كثيراً ما يدعو بهذا الدعاء: **يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**. وكان يكثر في قسمه أن يقول: **لا ومقلب القلوب**.[3]

فالنية والقصد هي روح العمل وأساسه.

إنها عزم وتصميم وجمع للهمة وتركيز للإرادة وإعمال الفكر، بحيث يدخل العبد في العبادة مرهف الحس. محدد الإرادة والاتجاه، يقظاً واعياً مخلصاً في اتجاهه إلى الله.

---

١) الفتاوى، ٨٨/١٠، لابن تيمية.

٢) عدة الصابرين، ٥٩.

٣) مقاصد المكلفين، ٣٦٠، د. عمر سليمان الأشقر، ط٢/١٩٩٠م، مكتبة الفلاح، الكويت، دار النفائس، الأردن.

قال رجل للرسول صلى الله عليه وسلم: إني أقف الموقف أريد وجه الله وأريد أن يرى موطني فلم يرد عليه حتى نزلت الآية: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾.[1]

فاعتبر إفساد النية إفساداً للعمل وإشراكاً بالله.

وهذا يجعل العبد يقظاً دائماً، يسائل نفسه كلما أقدم على العبادة: لم أعبد؟ لم أصلي؟ لم أصوم؟ لم أتصدق؟!

وقد قرر علماء التربية أن الفعل الواعي المبصر هو ميزة الإنسان الذي يسعون إلى تكوينه.

فالإنسان ليس آلة صماء تؤدي أعمالاً بغير وعي وفهم وحضور قلب.[2]

فلا بد من استصحاب النية وحضور القلب مع العمل الصالح ليوفي العبادة حقها وتكون كاملة بقلبه وجوارحه.

وإلا فإن أول من تسجر بهم النار: فاقدي الإخلاص.

فقد جاء في الحديث الصحيح: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار... ورجل تعلم العلم...** الحديث.[3]

فالعمل الواحد يقصد به أمر فيكون عبادة. ويقصد به شيء آخر فلا يكون كذلك. بل يقصد به شيء فيكون إيماناً. ويقصد به شيء آخر فيكون كفراً كالسجود لله أو للصنم.[4]

---

١) سورة الكهف، الآية ١١٠.

٢) مقاصد المكلفين، ١٠٣/جـ، عمر سليمان الأشقر، ط٢/١٩٩٠م، نشر دار النفائس، الأردن، نشر مكتبة الفلاح، الكويت.

٣) أخرجه مسلم وأحمد والنسائي عن أبي هريرة، ينظر صحيح الجامع الصغير، ٤٠٤/١.

٤) الموافقات، ٣٢٤/٢.

وقد قال الله تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ فتلك سيما العمل المقبول. إنها مقيدة بالتقى. أما إذا اتجه المكلف في العبادات إلى المقاصد التابعة: فكان همه من أداء الصلاة مثلاً (حفظ المال والدم، أو احترام الناس...) فإن ذلك منه رياء وهوصنيع أهل الزندقة والنفاق. وتبطل صلاته. لأن المقاصد الأصلية للصلاة إنما تعني التوجه إلى الله بالشكر ونيل رضاه وثوابه في الآخرة.[1]

والعمل بغير نية عناء. والنية بغير إخلاص رياء. والإخلاص من غير تحقيق هباء.[2]

فمن صامت وهي تقصد الحمية والتنحيف، لم تكن مأجورة على ذلك الصيام.

وفي الصدقة والإصلاح بين الناس، لا يكون الباعث لهوى في الصدقة على فلان وعلان، ولا يكون ليشتهر الرجل بأنه (والله) رجل طيب يحض على الصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس، ولا تكون هناك شائبة تعكر صفاء الاتجاه إلى الله بهذا الخير. فهذا هو مفترق الطريق بين العمل يعمله المرء فيرضى الله عنه ويثيبه به، والعمل نفسه يعمله المرء فيغضب الله عليه ويكتبه له في سجل السيئات.[3]

وقد قال الله تعالى **﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس. ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾**.[4]

فليسأل أحدنا نفسه: هل حقيقة أني أريد وجه الله بعملي هذا؟ أو عند

---

١) الموافقات ٣٠٨/٢، للإمام الشاطبي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر.

٢) مختصر منهاج القاصدين، ٣٦٠.

٣) الظلال ٧٥٩/٢، في ظلال القرآن: سيد قطب، نشر دار الشروق.

٤- سورة النساء، الآية ١١٤.

امتناعي عن عملي ذاك.

فما فعل بنية الامتثال يثاب المرء عليه. وإلا فإن حب الظهور داء خفي، ما أحوج المسلم بتعهد قلبه ونفسه وزيادة صلته بالله ليكافح ذلك الداء، ويذب عن قلبه شره. وأما من عُدمت عندها النية الصالحة، وأصبحت عباداتها للدنيا فذلك محبط للعمل.

فمن حجت للفسحة -لا سيما وأن مناسك الحج أصبحت تؤدى بيسر وسهولة- أو جاءت للحج للاستراحة من مهام الأسرة، فوجدت في الحج فرصة لها لذلك وليقوم غيرها بمهام البيت. فهي بالنية تلك غير مأجورة إن لم تكن آثمة. وقد قال الله تعالى:﴿**من كان يريد الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار**﴾.[1]

أمّا بالنيات الصادقات فالمباحات تصير طاعات كما قال الإمام النووي رحمه الله. فالجماع يكون عبادة إذا نُويَ به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر به الله تعالى. أو طلب ولد صالح أو إعفاف الزوجة ومنعهما جميعاً من النظر إلى الحرام أو التفكر فيه أو الهم به.[2]

ولقد جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**في بضع أحدكم صدقة**). قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: (**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر.**[3]

وقال علي كرم الله وجهه: (لو أن رجلا أخذ جميع ما على الأرض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد، ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد).

---

١) سورة هود، الآية ١٥-١٦.

٢) شرح صحيح مسلم، ٩٢/٧.

٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب كل نوع من المعروف صدقة، والبُضع يطلق عن الجماع.

فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله، مقصورة على عبادة أو ما يعين على العبادة. فإن كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقك.(1)

فالنية أساسية في الأعمال وقد جاء في الحديث الصحيح:

«من أتى إلى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه».(2)

وهذا من رحمة الله وكرمه رغم أن الإسلام يرفض أن تشغل الدنيا العبد عن طاعة الله، وأن تصبح ميداناً للصراع والتنافس بحيث تثور الأحقاد ويصبح هم الناس التكالب على الدنيا والتصارع على متاعها.

أما ما يصيب العبد من نسيان للآخرة حال ملابسته للدنيا فذلك أمر لا يمكن أن يتخلص منه الإنسان. وقد عانى في هذه الحال حنظلة الأسدي أحد كتاب الوحي قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر الجنة والنار حتى كأنا رأي العين. فقمت إلى أهلي وولدي فضحكت ولعبت، فذكرت الذي كنا فيه. فخرجت فلقيت أبا بكر. فقلت: نافقت يا أبا بكر! فقال: وما ذاك؟

قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا الجنة والنار وكأنا رأي عين فإذا خرجنا من عنده عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا. فقال أبو بكر رضي الله عنه: إنا لنفعل ذلك.

فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال:

«يا حنظلة لو كنتم عند أهليكم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطريق. يا حنظلة ساعة وساعة».(3)

فلا بد من استحضار النية فهي روح العبادة. ولقد قال الله تعالى: ﴿**وما**

---

1) إحياء علوم الدين، ٣/٤٠٩.

2) صحيح سنن النسائي، ١٦٨٥.

2) الحديث أخرجه مسلم والترمذي، مقاصد المكلفين ٣٩٥.

أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾.(١)

ولا مجال للرياء فيها، لأنها من الأعمال الباطنة.

فالتكليف بتوجيه العبد نيته إلى الإخلاص وقصد الله دون سواه يكون باكتساب الأسباب التي تؤدي إلى ذلك. بأن يتعرف على الله ويتملى في بديع صنعه وعظيم نعمه. ويتعرف إلى صفاته، وينظر في عظيم ثواب الطائع وعظيم عقوبة العاصي، وينظر في الفوائد التي تعود عليه من الطاعات في الدنيا والآخرة.

فعند ذلك تنبعث النفس إلى العمل بطاعة الله صادقة مخلصة.

وإذا كان الغالب على العبد أمر الدين وامتلأ قلبه بحب الله وخوفه ورجائه، سهل عليه استحضار النية لأن القلب مائل إلى الخير باستمرار. أما الذي يميل قلبه إلى الدنيا دائماً فإنه يصعب عليه الإخلاص).(٢)

فلنعقد العزم على عمل الصالحات، ولنصمم على ذلك ابتغاء وجه الله وحده لا شريك له ولنتأسى بالصحابة رضوان الله عليهم فلقد كانوا يحتسبون أعمالهم لله سبحانه، ويتعهدون صحتها باستمرار:

فلقد قال أبو موسى الأشعري لمعاذ (رضي الله عنهما) وهما باليمن: إني أحتسب قومتي ونومتي لأنها تعين على العبادة».

هذا جيل الصحابة الكرام، فماذا عنا نحن؟

لا بد أن نسير على خطاهم وندعو كدعاء عمر:

«اللهم اجعل عملي صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً».(٣)

---

١) الآية ٥ من سورة البينة.

٢) مقاصد المكلفين، ٤١، للأشقر، ط٢، ١٩٩٠م، نشر دار النفائس ومكتبة الفلاح.

٣) الفتاوى ٢١٤/١٠ لابن تيمية، نشر مكتبة المعارف، الرباط.

(٣)
هل المشقة مقصودة في التكليف؟

مقولة نسمعها كثيراً: «الثواب على قدر المشقة»..

يقول ابن تيمية رحمه الله: هذا القول ليس بمستقيم على الإطلاق.

كما قد يستدل به طوائف على أنواع من الرهبانيات والعبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله، من جنس تحريمات المشركين وغيرهم ما أحل الله من الطيبات. ومثل التعمق والتنطع الذي ذمه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: **«هلك المتنطعون»** وأما قول: الأجر على قدر الطاعة، فقد تكون الطاعة لله ورسوله في عمل ميسر كما يسر الله على أهل الإسلام الكلمتين وهما أفضل الأعمال. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»...[١]

وقد يكون العمل الفاضل شاقاً، ففضله لمعنى غير مشقته. والصبر عليه مع المشقة يزيد ثوابه وأجره فيزداد الثواب بالمشقة. كما أن من كان بعده عن البيت في الحج والعمرة يكون أجره أعظم من القريب. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها في العمرة: **«أجرك على قدر نصبك»**.

لأن الأجر على قدر العمل في بعد المسافة. وبالبعد يكثر النصب فيكثر الأجر. وكذلك الجهاد.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة. والذي يقرأه ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران».

---

١) أخرجه البخاري ومسلم.

وكثيراً ما يكثر الثواب على قدر المشقة والتعب، لا لأن التعب والمشقة مقصودان من العمل، ولكن لأن العمل يستلزم المشقة والتعب.

هذا في شرعنا الذي رفعت عنا فيه الآصار والأغلال. ولم يجعل علينا فيه حرج، ولا أريد بنا فيه العسر.(١)

وقال الإمام العز بن عبد السلام: إذا اتحد الفعلان في الشرف. وكان أحدهما شاقاً، فقد استويا في أجرهما لتساويهما في جميع الوظائف. وانفرد أحدهما بتفرد المشقة لأجل الله سبحانه وتعالى، فأثيب على تحمل المشقة لا على عين المشاق. إذ لا يصح التقرب بالمشاق. لأن القرب كلها تعظيم للرب سبحانه وتعالى وليس عين المشاق تعظيماً ولا توقيراً.

فإذا باشر الإنسان عملاً وترتبت عليه مشقة غير مقصودة، أو لم تكن له إلا وسيلة واحدة إلى ذلك المقصود، فإن الله تعالى بفضله وكرمه لا يحرمه من الأجر والثواب بسبب تلك المشقة الحاصلة تبعاً بغير قصده واختياره. مثال ذلك: ألا يكون له إلى المسجد أو مشاعر الحج إلا طريق واحد شاق وعر فمشى فيه. فالأجر ثابت له فضلاً وكرماً.

قال تعالى: **﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾**.(٢) نظير ذلك ما يكفر عن العبد من خطاياه بسبب المصائب التي تقع عليه وليس له اختيار في وقوعها. كما قال عليه الصلاة والسلام: **«ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته»**.(٣)

---

١) ينظر الفتاوى لابن تيمية رحمه الله، ١٠/٦٢٠-٦٢٢.

٢) سورة التوبة، الآية ١٢٠.

٣) الحديث أخرجه مسلم في الصلاة، ينظر قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، ١٥٠.

فسبحان من جعل هذا الدين ميسراً فطرياً. وسبحان الله الذي لم يجعل علينا في الدين من حرج، ولم يكلفنا مـالا يطاق. لما في ذلك من قهر للنفس ومـجافاة للاعتدال:

فـقد دخل الرسـول صلى الله عليـه وسلم عند أم المؤمنين عـائشـة رضي الله عنها، وعندها امرأة فقال: **من هذه؟**

قالت: فلانة، تذكر من صلاتها. قال :**مـه! عليكم بما تطيقون. فوالله لا يمل الله حتى تملوا.فكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه.**(١)

ولو قيل إن التكليف على قدر الطاقـة لكان ذلك القول سليـماً. لأن السـقيم ليس كالصحيح في التكليف.

وقد اتفق المسلمـون على أن المصلي إذا عجز عن أداء بعض واجبـات الصلاة كالقيـام أو القراءة أو الركوع أو السجـود أو ستر العورة أو اسـتقبال القـبلة أو غير ذلك، سقط ما عجز عنه.

وإنما يجب عليه ما إذا أراد فعله إرادة جازمة أمكنه ذلك...

بل متى كان العبد قادراً على الفعل مع ضرر يلحقه جعل كالعاجز في مواضع كثيـرة من الشريعة، كالتطهر بالماء والصـيام في المرض، والقيام في الصلاة تحقـيقاً لقوله تعالى ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾.(٢)

ومن القواعد الأصولية:

«المشـقة تجلب التيـسيـر». وكـذلك أن «الأمر إذا ضـاق اتسع» فـالقصـد في الطاعات المصلحـة للمكلف لا المشقة له. وذلك ليؤدي الطاعـة في انشراح صدر ونشـاط نفس.(وليس للمكلف أن يقـصـد المشقـة نظراً إلى عظم أجـرها. وله أن

---

١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان.

٢) مجمـوع فتاوى شيخ الإسلام أحـمد بن تيمية، ٨/٤٣٨-٤٣٩، جـمع وترتيب عبدالرحمن بن قـاسم، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب.

يقصد العمل الذي يعظم أجره لعظم مشقته من حيث هو عمل.[1]

فالله سبحانه وتعالى لا يريد الإعنات والمشقة. فقد جاء في الحديث الصحيح:

«إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق».[2]

فكما أن من مداخل الشيطان الإهمال، فمن مداخله أيضاً الغلو فلنحذر من نزغات الشيطان، ولنصفٍ النفوس من تلك الوساوس الشيطانية. وقد قال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان إما إلى تفريط وإما إلى مجاوزة وهي الإفراط، ولا يبالي بأيها ظفر زيادة أو نقص.[3]

أما ما نجده من تعمد المشقة وقصدها، ظناً أن في ذلك تكثيراً للحسنات، فهو من تأثير النصرانية المحرفة وما فيها من رهبانية وفصل الدين عن الحياة. أما الإسلام فشأنه الدعوة للاقتصاد في العبادة، لأن ذلك أدعى للإقبال على العبادة بنشاط.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل فإذا حبل ممدود بين الساريتين. فقال: **ما هذا الحبل؟**

قالوا: هذا حبل زينب فإذا فترت تعلقت به. فقال:

«لا، حلوه. فليصل أحدكم نشاطه. فإذا كسل أو فتر فليقعد».[4]

فالقصد هو الطاعة والامتثال لأمر الله، وفي ذلك مصلحة للمكلف لا المشقة له.

---

1) الموافقات للشاطبي، ٢/٨٦.

2) أخرجه الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه، والحديث قال عنه الألباني حسن، ينظر صحيح الجامع الصغير، ١/٤٤٧.

3) تهذيب مدارج السالكين، ٣٣٣ كتبه ابن القيم وهذبه عبدالمنعم العزي/ط١/١٤١٣هـ، نشر مكتبة السوادي، جدة.

4) أخرجه الإمام مسلم.

(٤)
تزكية النفس

«**إن الله يحب معالي الأمور وأشرفها ويكره سفسافها**».[١] كما ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح.

لكن علاج النفوس وتزكيتها أصعب من علاج الأبدان. ليصلح به المرء من قلبه ما مزقته يد الغفلة أو شعثته يد الإضاعة والتفريط أو قيدته يد الشهوات والأهواء.

فيجاهد المرء نفسه ليسد مداخل الشيطان ما استطاع. ويقلع عن لذات الدنيا وشهواتها، ويجد للتزود لما بعد الموت. ومن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة التي لم يجيء بها الرسل فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب؟!

أما «سعاد» فقد تكرر منها سوء تصرفاتها، وإزاء كلماتها القاسية، أنّبها زوجها وأغلظ لها القول. وعندما اشتكت لأمها، قاطعتها أمها قائلة: إني أعلم ما قلت له!

لقد قُلت: ماذا أفعل؟ إني عصبية المزاج سريعة الإنفعال.. وهكذا خلقت!

تقبلت «سعاد» هذا الكلام بصدر رحب وقالت:

- فعلاً يا أمي، لقد وضعت يدك على الجرح!

أما الأم فكان منها الدرس الواعي لابنتها:

(لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لم يكن للمواعظ والوصايا معنى. وكيف ننكر تغيير الأخلاق ونحن نرى الصيد الوحشي يستأنس، والكلب يعلم ترك الأكل، والفرس تعلم حسن المشي وجودة الانقياد. إلا أن بعض الطباع سريعة

---

١) ينظر صحيح الجامع الصغير، ١/٣٨٤، والحديث صحيح كما ذكر الألباني، رحمه الله.

القبول للصلاح، وبعضها مستعصية).[1]

فلا بد لتعديل عاداتنا من الصبر والتدرج فيها. إذ من الصعب التخلي عنها فجأة. مع الأخذ بالاعتبار أن نمو النفس وتزكيتها مثل نمو البدن لن يظهر الأثر في الحال، بل يظهر رويداً رويداً.

وكما أن الأخلاق لم تنتج بين عشية وضحاها، كذلك التغيير... فيجب الصبر وعدم العجلة.

فلقد كان ابن المنكدر (رضي الله عنه) وهو الذي كان يسميه الإمام مالك - رحمه الله- سيد القراء.. كان يقول عن نفسه:

-«جاهدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت».[2]

نسأل الله تعالى أن تستقيم نفوسنا، وأن يهدينا سبيل الرشاد لنكون من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾.

فالتخلص من العادات القديمة وإن لم يكن سهلاً، لكنه ليس متعذراً على ذات العقيدة السليمة، والعقل الذي يعقلها عن القبائح.

فمن اعتادت مشاهدة التلفزيون لساعات طويلة (مثلاً)...

فتترك مشاهدة الإعلانات أولاً -ومن ثم تترك عادة الإفراط في المشاهدة بأن تحدد الساعات والبرامج التي تتابعها...

وهكذا رويداً رويداً يتقلص إهدار الوقت، والتعامل المحرم مع ذلك الجهاز.

والله تعالى لم يكلفنا ما لا نطيق:

(فالأوصاف التي طبع عليها الإنسان كالشهوة إلى الطعام والشراب، لا يطلب رفعها ولا إزالة ما غرز في الجبلة منها، فإنه من تكليف ما لا يطاق...

---

١) مختصر منهاج القاصدين، ١٥٢.

٢) سير أعلام النبلاء، ٥/٣٥٥. ولد شيخ الإسلام ابن المنكدر، سنة ٣٧هـ، وكان من فرط خشيته لله لا يتمالك من البكاء إذا قرأ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومثل هذا لا يقصد الشارع طلباً له ولا نهياً عنه. ولكن يطلب قهر النفس عن الجنوح إلى ما لا يحل وإرسالها بمقدار الاعتدال فيما يحل).[1]

ذلك أن الذنوب مثل السموم -كما ذكر ابن القيم رحمه الله- فإن تداركها المرء من سقي بالأدوية المقاومة لها، وإلا قهرت القوة الإيمانية وكان الهلاك. وقد قال بعض السلف: المعاصي بريد الكفر.[2]

نعوذ بالله من الخذلان، وأعاننا على الطاعات التي بها بعد توفيق الله يصان الإيمان ويزيد.

ولعل نقطة البداية لتزكية نفوسنها، المحاسبة الذاتية، فإنها مدعاة إلى تنشيط الذات لتقويم أعمالنا ومعالجة أخطائنا: ورضي الله عن عمر بن الخطاب إذ قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.

(الكثير منا لديه نقاط قوة ولكن لا يستفيد منها حق الاستفادة، أو لا يوظفها التوظيف الأمثل. كما أن لديه الكثير من نقاط الضعف التي تعرقل مساعيه لتحقيق أهدافه، وتشل فاعليته الشخصية.

إن رحلة التغيير الإيجابي في الحياة تبدأ بالتعرف على النفس. وبعد التعرف على النفس يأتي تطويعها وقيادتها وسياستها وتوجيهها لما فيه الخير والصلاح).[3]

فمن كانت سريعة الغضب، وبعد أن حاسبت نفسها ودققت النظر في مزاياها وفي سلبياتها، أيقنت أنها لا تحسن التعامل مع الآخرين فبدأت تروض نفسها على ضبط النفس..

وبالصبر والعزم تصل إلى بغيتها بإذن الله، ولا سيما إذا اتبعت الطريقة

---

١) الموافقات للإمام الشاطبي، ٢/٧٢.

٢) تهذيب مدارج السالكين، ٢٢٤.

٣) العادات العشر للشخصية الناجحة، ١٦٧، د.إبراهيم بن حمد القعيد، دار المعرفة للتنمية البشرية، ط٢، ١٤٢٢هـ، الرياض.

المشروعة في ذلك، وعالجت الغضب بالصمت وضبط النفس، وبالجلوس إن كانت واقفة، وبالوضوء والاستعاذة من الشيطان، وبتكلف الحلم يكتسب الخلق الحسن، فإنما الحلم بالتحلم.

ولا يفوتها المحاسبة والتساؤل بين الفينة والأخرى: ما السبيل لأصبح أكثر رفقاً وليونة؟

كيف أتعامل مع صديقاتي المؤمنات حتى لا أخسر صحبتهن؟!

وبمضاء في العزيمة، مع العقيدة السليمة تتحول العادة السيئة إلى عادة حسنة تتناسب مع قيم الإسلام السامية.

- ومن وجدت نفسها بعيدة عن الإلتزام الحق،فلتفكر ملياً لتعرف هويتها وتكافح الذنوب وتتخذ الأسباب للعمل الصالح.

وحين سبرت أغوار نفسها، علمت أن السبب في عدم وضوح الرؤية هو صحبة شريرة بما تجلبه لها من أشرطة ماجنة أو صور مثيرة...

قاطعت هذه الصحبة، وتلطفت في تركها، خشية المقالب التي من الممكن أن تعملها من حبك للمؤامرات، أو إلحاق الأذى بسمعتها، ولما صممت أن لا تتمادى في الخطأ، وأن تجد لها العون الذي يساندها ويعضدها، وطدت صلتها بالصالحات. لأنها تعلم أن المرء على دين خليله.

وما صاحبة السوء إلا عدوة. ولن يركن لعدوه إلا الأحمق.

- ومن ألفَتْ نفسها الكسل وأهملت الأعمال الجادة والنافعة وتريد تغيير ذلك، فإنه يمكنها أن تروض نفسها ليصبح أنسها ولذتها في الجد والعمل والنشاط. وليس ذلك بالأمر العسير فإذا كان لاعب الكرة وبطل الجري يتدرب ويواصل التدريب، وهو راضٍ ليحصل القوة التي تساعده، أوليست المسلمة أولى بالبعد عن الكسل، وتدريبها على كل أمر جاد.

ولا ينكر تسامي الغرائز والميول والاهتمامات إلا جاهل.

فقد تصبح غريزة الغضب من أجل العقيدة.

وقد تصبح غريزة الجمع لإنفاق المال في سبيل الله بدل التفاخر.
وهكذا نعالج نقاط الضعف واحدة فواحدة حتى نبرأ منها.
المهم أن تجاهد المرأة نفسها حتى يسلس قيادها لأن ﴿**الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ وتحاسب نفسها قبل أن تحاسب. الأمر الذي يجعلها تطلع على عيب نفسها فتصلحه دون أن تختلق الأعذار لنفسها، وتتعلل بالأوهام.
وهكذا تصبح في تربية مستمرة لذاتها، وتطوير سلوكياتها، لتغدو منقادة لأمر الله، خاضعة له، تلوذ به، ولا يعنو وجهها إلا للحي القيوم وحده لا شريك له.
وتكتسب الأخلاق الجميلة بالرياضة (كما ذكر الغزالي) وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعاً انتهاء. وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح -أي النفس والبدن- فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا وفقها لا محالة. وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر على القلب.[1]
فبالتزكي والطاعة لله ترقى النفوس، وتسمو القلوب والأرواح.
فلتسأل كل واحدة منا نفسها: هل أنا جاهزة لتغيير عاداتي نحو الأفضل؟ وهل أنا مستعدة للدوام على العمل الصالح وتأدية واجبي كمسلمة؟!
فإن كان الرد بالإيجاب فبها ونعمت، وإلا فالبدار البدار قبل فوات الأوان...
ولتبق هذه طريقنا نحو تزكية أنفسنا لننال وعد الله تعالى بالفلاح إذ قال جل من قائل ﴿**قد أفلح من زكاها**﴾ وتبقى تربيتنا للذات مستمرة طيلة الحياة حتى نلقى الله وهو عنا راض:
ولقد جاء في الحديث الصحيح:
«**إن الرجل ليعمل عمل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار. وإن**

---

١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، ٣/٩٦، ط١، ١٤١٢هـ، دار الحديث، القاهرة.

الرجل ليعمل عمل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة» والحديث متفق على صحته وزاد البخاري: **وإنما الأعمال بخواتيمها.**(١)

وهذا ما يؤكده حديث آخر عن المصطفى عليه الصلاة والسلام:

«إذا أراد الله بعبد خيراً عسّله. قالوا: وما عسّله؟ قال: يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه إليه».(٢)

فما أسعد من يوفقه الله لذلك!

علينا أن نعقد العزم للتزود لما بعد الموت فنقلع عن لذات الدنيا وشهواتها. ولا نكون أسارى لملذاتها.

وعند كل عمل لا بد أن نفكر في قيمته من الناحية الشرعية. فنضبط أقوالنا وأعمالنا بالميزان الشرعي.

وإن شئنا أن نكيف حياتنا مع متغيرات الحياة، فلا نتساهل بحال في المحرمات. بل نتمسك بالثوابت.

فنصبح أمتن عقيدة، وأكثر التزاماً بأمر الله وبعداً عن مناهيه وأكثر واقعية، وأكثر إيجابية. وشعوراً بالرضى والسعادة بعيداً عن النظرة القاصرة من الشعور بالدونية واحتقار الذات.

وتغدو كل واحدة منا صالحة مصلحة، تسعى لإعطاء كل ذي حق حقه. فتزكية النفس من الأولويات. فقد قال تعالى ﴿**لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر**﴾ ولم يذكر واقفاً.

نسأل الله مقلب القلوب أن يختم بالصالحات أعمالنا. وأن يوفقنا للزاد الذي يهيؤنا للقاء الله تعالى وهو عنا راضٍ إنه سميع مجيب.

---

١) صحيح الجامع الصغير، ١/٣٣٥، والحديث عن سهل بن سعد.

٢) أخرجه الإمام أحمد والطبراني، وقال الألباني حديث صحيح، ينظر صحيح الجامع الصغير، ١/١١٧.

الفصل الثاني
الأولويات في ميزان الأصوليين والإداريين

المبحث الأول: الأولويات في ميزان الأصوليين:

١- معنى الأولويات.

٢- مقاصد الشريعة.

٣- التمسك بالثوابت من الأولويات.

٤- فقه الموازنات.

٥- بعض القواعد الأصولية في الأولويات.

المبحث الثاني: الأولويات في ميزان الإداريين والتربويين:

١- عملية ترتيب الأولويات.

٢- وضع الأهداف ضرورة لا بد منها.

٣- أهمية التخطيط في الوصول للهدف.

٤- خصائص الناس الذين يعيشون وفق المبادىء.

المبحث الأول
الأولويات في ميزان الأصوليين

١) معنى الأولويات:

الأولويات وضع كل شيء في مرتبته، فلا يؤخر ما حقه التقديم أو يقدم ما حقه التأخير، ولا يصغر الأمر الكبير، ولا يكبر الأمر الصغير، وهذا ما تقتضي به قوانين الكون، وما تأمر به أحكام الشرع.(١)

(إنها تعني الأمور الهامة والضرورية التي قد لا تكون عاجلة، بل تم التخطيط بهدوء وروية لإنجازها حسب أهداف وبرنامج واضح).(٢)

وفي القرآن الكريم والسنة الشريفة نجد الألفاظ التي تشير إلى الأفضلية والخيرية والأحسن والأكمل...

والعاقل من يحسن التوفيق بين الفضائل، وإن تجاذبته الأهواء فإنه لا يعمل بعضها لفترة ثم يولي وجهه تاركاً لها جميعاً!

أما وأن الفوضوية قد لاحقت المجتمع عامة، والمرأة كذلك لاحقتها في كل جزء من حياتها، فإن همنا معرفة السبيل للتخلي عن تلك الخصلة الشوهاء... وإلا ورثتها الأجيال، ومن ثم جذبتها نحو الحضيض، وعانت من مغبتها الأمة بأسرها.

وما علينا إلا العمل بجدية، والأخذ بالأسباب وعدم تركها بحجة التوكل. فلنعقد العزم، ولنبتعد عن العشوائية، ولنحدد أهدافنا: ماذا نحب أن نكون؟! أمن الصالحات القانتات المحسنات؟!

---

١) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة: ص٣٤، تأليف: د. يوسف القرضاوي، ط٤/١٤١٢هـ، مكتبة وهبة، القاهرة.

٢) العادات العشر للشخصية الناجحة، ص١٨٠، د. إبراهيم بن حمد القعيّد، دار المعرفة للتنمية البشرية، ط٢/١٤٢٢هـ.

عندها نجعل أولوياتنا ما يفيد، وخواطرنا تصبح في رضى الرحمن، فلا تستعبدنا خطوط الموضة، ولا تصبح النحافة وحب التجمل في أولوياتنا، ولن نذهب وقتنا في ذلك وأمثاله من حب المال ومظاهر الدنيا الخادعة من بيوت وحلي وأثاث و..

نسأل الله تعالى أن يجنبنا مزالق الشيطان وأن يهدينا سواء السبيل.

٢) مقاصد الشريعة:

إن تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام:

١- أن تكون ضرورية. ٢- حاجية. ٣- والثالث أن تكون تحسينية.

الضرورية: لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة. وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين...

والضروريات خمسة:

حفظ الدين والنفس والعرض والعقل وهي مراعاة في كل ملة.

والحاجيات: معناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب...

وهي في العبادات كالرخص، وفي العادات كإباحة الصيد والتمتع بالطيبات مما هو حلال.

والتحسينيات: الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنف العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق... وفي العبادات كإزالة النجاسة وستر العورة والتقرب بنوافل الخيرات من الصدقات...

وفي العادات كآداب الأكل والشرب....[1]

وللضروريات أولوية عن غيرها -يجب مراعاتها- إلا إذا كانت تؤدي إلى الإخلال بضروري أهم منه.

ولا نقول ضرورة كلما راق لنا ذلك. بل ننظر إلى الأمور بشمولية تقية، لا بسطحية تتبع الهوى:

«ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»[2]

وحيث أن من طبيعة المرأة رقة الشعور وسرعة التأثر، فواجبنا نحن النسوة أن نتحرز جهدنا من مداخل الهوى والحظوظ العاجلة، فقد حذرنا الصادق الأمين بقوله:

«يا معشر النساء! تصدقن ولو من حليكن فإنكن أكثر أهل جهنم يوم القيامة».[3]

ولنجعل لأفعالنا سوراً واقياً يحدده الشرع. فالحلال ما أحله الله ورسوله. والحرام ما حرمه الله ورسوله.أما ما ليس فيه نص فالأمر فيه متسع.

والمباح: **هو المخير فيه بين الفعل والترك من غير مدح ولا ذم**، لا على الفعل ولا على الترك.[4]

وتناول المباح لا يصح أن يكون صاحبه محاسباًعليه بإطلاق، وإنما يحاسب على التقصير في الشكر عليه.[5]

أما إذا كان المباح ذريعة إلى ممنوع، فصار ممنوعاً من باب سد الذرائع لا من

---

١) الموافقات للشاطبي، جـ٢، ص٣-٥، وينظر أيضاً مقاصد الشريعة للحمادي العبيدي، ص١٢٣، وقواعد الوسائل، ص١٨٦.

٢) متفق على صحته.

٣) رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن زينب امرأة ابن مسعود، والحديث صحيح كما ذكر الألباني.

(٤-٥) الموافقات ٦٨-٧٤.

باب كونه مباحاً.

وعلى هذا يتنزل قول من قال: «كنا ندع ما لا بأس به حذراً لما به البأس». وروي مرفوعاً.

وكذلك ما جاء من هذا الباب في ذم الدنيا، إنما هو لأجل أنها تصير ذريعة إلى تعطيل التكاليف. وأيضاً فقد يتعلق بالمباح في سوابقه أو لواحقه أو قرائنه مما يصير به غير مباح، وذلك كالمال إذا لم تؤد زكاته.(١)

فالحياة ليست كما يظن البعض: أسواق وفسح ومدينة ألعاب، كما أنها ليست سعياً ولهثاناً وراء المتع الفانية بحجة إباحة الترويح عن النفس...

إنها عبادة لله سبحانه وتعالى، وأداء لحقوقه جل شأنه، ولحقوق العباد. كما أنها ليست تضييقاً على المرء بحرمانه من المباحات:

«كثير من الناس يجعل كثيراً مما عليه من الحق من قسم ماله فيتخير بين فعله وتركه. وإن فعله رأى أنه فضل قام به لاحق أداه. وبإزاء هؤلاء من يرى كثيراً مما له فعله وتركه من قسم ما عليه فعله وتركه فيتعبد بترك ماله فعله، كترك كثير من المباحات ويظن ذلك حقاً عليه، كمن يتعبد بترك النكاح، أو أكل اللحم أو الفاكهة مثلاً، أو الطيبات من المطاعم والملابس، ويرى لجهله أن ذلك مما عليه، فيوجب على نفسه تركه، أو يرى تركه من أفضل القرب وأجل الطاعات. وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على من ذم ذلك، ففي الصحيح أن نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا عن عبادته في السر فكأنهم تقالّوها. فقال أحدهم: أما أنا فلا آكل اللحم. وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء. وقال الآخر: أما أنا فلا أنام على فراش. فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم مقالتهم، فخطب وقال: «**ولكني أتزوج النساء وآكل اللحم وأنام وأقوم وأصوم وأفطر**

---

١) الموافقات للشاطبي ٧١.

فمن رغب عن سنتي فليس مني».

فتبرأ ممن رغب عن سنته، وتعبد لله بترك ما أباحه لعباده من الطيبات رغبة عنه واعتقاداً أن الرغبة عنه وهجره عبادة.(١)

أما الإسراف في المباح سواء في الكمية أو النوعية فتجعله يقرب من الحرام. لذا يجب التمييز الواعي بين ما هو ضروري مباح وبين ما هو كمالي قد يقرب من الحرام.

- لقد احتدم النقاش بين الزوجين، وازداد التوتر إلى حد الأزمة في الأسرة... لكن لماذا؟!

كان الأطفال يلعبون بمرح وحبور، علت أصواتهم فانزعج الزوج منهم ونبه زوجته قائلاً: أما آن لهم أن يهدأوا...

ساعدت الزوجة في تهدئتهم... وبيت القصيد أن كلا الزوجين يريد مشاهدة التلفزيون: فالزوج يريد متابعة مباراة كرة القدم. والزوجة تريد معرفة الأخبار وكان الخلاف المر.

أما إنه لو طبقت الأولويات لما شعر الناس بالضيق وشغل الذهن بأمور صغيرة تافهة.

- أما (وداد) فلقد أصبحت حياتها على شفا الطلاق. وهي مصرة على أنها لا تعمل إلا المباح!

كانت (وداد) تبالغ في حب النوم، حتى إذا صحت فكرت متى تنام؟! وفشت العدوى فعمت اللامبالاة جميع أفراد الأسرة. فابنها الأكبر أضحى تحصيله الدراسي سيئاً، فهو يهمل حتى إذا كانت ليلة الامتحان هرع إلى دفاتر زملائه يستعيرها، وفي غرفة الامتحان يستجدي المعلومات ممن حوله... وغير ذلك من نتائج الإهمال والتي اقتبسها الأولاد بالقدوة.

---

١) تهذيب المدارج ١١٧-١١٨.

ضاق الأب ذرعاً بالوضع... حتى صحت المرأة من غفواتها وبدأت تنظم وقت استيقاظها، وجعلته في اليوم الأول مبكراً ربع ساعة، ثم نصف ساعة وهكذا... رويداً رويداً، انضبط موعد الاستيقاظ، وأحسنت في استثمار الوقت لتكون القدوة لأبنائها في ذلك.

- وفي ظل التصحّر في العلاقات، حتى العلاقات الأسرية فإننا نجد كثرة المشاكل والتي سببها السخافات في التعامل مع المباحات!

كأن يختلف الزوجان مثلاً في لون الأثاث، والنظرة الواعية ترى أنه اختلاف في أمر مباح وهنا يحسن الاحتساب وترك الجدل للفوز بوعد الرسول صلى الله عليه وسلم: «**أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقاً**».(١)

- **العمل الواحد في ميزان الشرع يختلف حسب حال المكلف وحسب نيته:**

وقد قال ابن القيم -رحمه الله- (وها هنا أمر يجب التفطن إليه، وهو أنه قد يكون العمل المعين أفضل منه في حق غيره.

فالغني الذي بلغ له مال كثير ونفسه لا تسمح ببذل شيء منه، فصدقته وإيثاره أفضل له من قيام الليل وصيام النهار نافلة.

والشجاع الشديد الذي يهاب العدو سطوته، فوقوفه في الصف ساعة وجهاده بأعداء الله، أفضل من الحج والصوم والصدقة والتطوع. والعالم الذي قد عرف السنة والحلال والحرام وطريق الخير والشر، فمخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم أفضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح.

وولي الأمر الذي قد نصبه الله للحكم بين عباده، جلوسه ساعة للنظر في

---

١) حديث حسن كما قال الألباني: صحيح الجامع الصغير، جـ١/٣٠٦.

المظالم وإنصاف المظلوم من الظالم وإقامة الحدود ونصر المحق وقمع المبطل، أفضل من عبادة سنين من غيره.

ومن غلبت عليه شهوة النساء، فصومه له أنفع من ذكر غيره وصدقته).(1)

وقد دعا عليه السلام لأنس «رضي الله عنه» بكثرة المال، فبورك له به.. وقال لثعلبة بن حاطب «رضي الله عنه» حين سأله الدعاء له بكثرة المال:

- «**قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه**».

وقال لأبي ذر «رضي الله عنه»: «**يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي. لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم**».

ومعلوم أن كلا العملين من أفضل الأعمال لمن قام فيه بحق الله.

وقد قال عليه الصلاة والسلام، في الإمارة والحكم: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن**».

وقال أيضاً: «**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة**».

ثم نهاه عنها لما علم له خصوصية في ذلك من الصلاح).(2)

فاختلف الحكم باختلاف الأحوال.

(ولا ريب أن ما فيه ضرر في الدنيا مذموم إذا لم يكن نافعاً في الآخرة، كإضاعة المال والعبادات الشاقة التي لم يأمر الله بها ولا رسوله.

وما فيه منفعة في الدنيا مذموم، إذا كان ضاراً في الآخرة، كنيل الملذات والشهوات المباحة، إذا حصل للعبد بها وهناً وتأخيراً في أمر الآخرة وطلبها.

وما كان مضراً في الدنيا والآخرة فهو شر وشدة..

وما كان نافعاً في الآخرة فهو محمود، وإن كان ضاراً في الدنيا، كإذهاب

---

1) عدة الصابرين، ٩٣، من كتاب كيف أخدم الإسلام، ٦٢.

2) الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، ص٢١٧، د. عابد السفياني، ط١، ١٤٠٨هـ، مكتبة المنارة، مكة المكرمة.

النفوس والأموال في الجهاد في سبيل الله.

وكذلك ما لم يكن ضاراً في الدنيا مثل كثير من العبادات.

وما كان نافعاً في الدنيا والآخرة فهو محمود أيضاً).[١]

(بل إن الفعل الواحد في الظاهر يثاب الإنسان على فعله مع النية الصالحة، ويعاقب على فعله مع النية الفاسدة:

فمن ترك جميل الثياب بخلاً بالمال لم يكن له أجر. ومن تركه متعبداً بتحريم المباحات كان آثماً. ومن لبس جميل الثياب إظهاراً لنعمة الله واستعانة على طاعة الله كان مأجوراً. ومن لبسه فخراً وخيلاء كان آثماً فإن الله لا يحب كل مختال فخور).[٢]

والمرأة الصالحة تعتني بمظهرها أمام المؤمنات، وأمام محارمها وبالحد الشرعي، ليكون لباسها نظيفاً أنيقاً مرتباً، من غير إسراف ولا مخيلة. لأن الإسراف في المباحات منهي عنه لقوله تعالى: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**﴾.[٣]

هذا وإن بعض المباحات قد يكون مورثاً لبعض الناس أمراً لا يختاره لنفسه بالنسبة إلى ما هو عليه من الخصال الحميدة، فيترك المباح لما يؤديه إليه: كما جاء أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما عذلوه في ركوب الحمار في سيره إلى الشام، أوتي بفرس فهملج تحته، أخبر أنه أحس من نفسه فنزل عنه ورجع إلى حماره.

وكما جاء في حديث الخميصة ذات العلم حين لبسها النبي صلى الله عليه

---

١) الفتاوى لابن تيمية رحمه الله، ١٤٩/٢٠.

٢) الفتاوى لابن تيمية رحمه الله، ١٣٩/٢٢.

٣) الآية: ٦٧ من سورة الفرقان.

وسلم، فأخبرهم أنه نظر إلى علمها في الصلاة فكاد يفتنه، وهو المعصوم صلى الله عليه وسلم، ولكنه علم أمته كيف يفعلون بالمباح إذا أداهم إلى ما يكره.

وكذلك قد يكون المباح وسيلة إلى ممنوع فيترك من حيث هو وسيلة كما قيل: **إني لأدع بيني وبين الحرام سترة من الحلال ولا أحرمها.**

وفي الحديث: «لا يبلغ الرجل درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً لما به البأس».

وهذا بمثابة من يعلم أنه إذا مر لحاجته على الطريق الفلانية نظر إلى محرم أو تكلم فيما لا يعنيه أو نحوه).[1]

(ومن زهد فيما يشغله عن الواجبات أو يوقعه في المحرمات فهو من المقتصدين أصحاب اليمين. ومن زهد فيما يشغله عن المستحبات والدرجات فهو من المقربين السابقين).[2]

(أما فضول المباح التي لا تعين على الطاعة، فإن عدمها خير من وجودها إذا كان مع عدمها يشتغل بطاعة الله...

وإن شغلته عن معصية الله كانت رحمة في حقه. وإن كان اشتغاله بطاعة الله خير من هذا وهذا.

وكذلك أفعال الغفلة والشهوة التي يمكن الاستعانة بها على الطاعة كالنوم الذي يقصد به الاستعانة على العبادة، والأكل والشرب والنكاح الذي يمكن الاستعانة به على العبادة، إذا لم يقصد به ذلك كان ذلك نقصاً بالعبد وفوات حسنة وخير يحبه الله تعالى.

ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لسعد رضي الله عنه:

---

٣) الموافقات للشاطبي رحمه الله، ١/٧٦.

١) الفتاوى لابن تيمية رحمه الله، ص٢٠/١٥١.

«إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا ازددت بها درجة ورفعة، حتى اللقمة تضعها في في امرأتك». وقال عليه السلام في الصحيح: **نفقة المسلم على أهله يحتسبها صدقة)**.(١)

ولقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبوهريرة رضي الله عنه قال: **«الخيل لثلاثة: هي لرجل أجر. ولرجل شر. وعلى رجل وزر: فأما الذي هي له أجر: فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرح أو روضة. ورجل ربطها تعفيفاً وستراً وتعففاً ثم لم ينس حق الله في رقابها وظهورها فهي له ستر. ورجل ربطها فخراً ورياءً ونواءً لأهل الإسلام فهي له وزر»**.(٢)

ثم إن المؤاخذة رفعت عن الناسي والمكره والخاطئ كما جاء في الحديث الشريف: عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»**.(٣)

ومن المعلوم أن النظر للأجنبية محرم لأنه وسيلة إلى الزنا، لكنه مباح بقصد النكاح لأنه وسيلة إلى مصلحة راجحة، وهي الإلفة بين الزوجين، ودوام ذلك بينهما. كما قال عليه الصلاة والسلام للمغيرة لما خطب امرأة: **«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»** والحديث رواه النسائي في كتاب النكاح والترمذي وقال حديث حسن).(٤)

كما أن السمر بعد العشاء منهي عنه لأنه وسيلة إلى تفويت قيام الليل أو صلاة الفجر، فإن عارضته مصلحة راجحة كالسمر للصائم أو لمصلحة من

---

١) الفتاوى ١٠/٤٦١.

٢) متفق عليه.

٣) أخرجه الطبراني: وقال الألباني حديث صحيح ٣٦، ينظر صحيح الجامع الصغير ١/٦٥٩.

٤) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية ٢٤٨ د. مصطفى بن كرامة الله مخدوم، ط١/١٤٢٠هـ الرياض.

مصالح المسلمين لم ينه عنه).[1]

• **يا أختي المؤمنة:** يا من تراقبين الله في حركاتك وسكناتك، وتجهدين نفسك لتكوني ممن يعبد الله كأنه يراه...

إن واجهتك مشكلة فتحرزي لدينك. فالأوزار ثقيلة، والعقاب أليم.

وحذار من حياة الغفلة واللامبالاة بحجة اللاهيات والتي أضحت مكرورة: «أخطاؤنا يغفرها الله».

فلا تساهل في الموبقات، ولا احتيال لاقتناص الملذات، ولا إسراف في المباحات. فالصادق الأمين عليه الصلاة والسلام قد حذرنا من مغبة ذلك بقوله: «**إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم. وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه**».[2]

٣) التمسك بالثوابت من الأولويات:

عند تحديد الأولويات، يجب أن ننظر في الحادثة فنعطي لها حجمها المناسب، ونجعل من الشرع الميزان الدقيق لها.

(فأصل الدين أن الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله. والدين ما شرعه الله ورسوله. ليس لأحد أن يخرج عن الصراط المستقيم الذي بعث الله به رسوله. قال الله تعالى: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون**﴾. وفي

---

٣) المصدر السابق، ص٣١٤، عن أعلام الموقعين ١٤٨/٣.

٤) رواه أحمد والطبراني وصححه الألباني، ينظر صحيح الجامع الصغير، ٥٢٣/١.

حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه خطّ خطاً وخط خطوطاً عن يمينه وشماله. ثم قال: **هذه سبيل الله. وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه**، ثم قرأ:

﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾.(١)

فعلينا أن نتمسك بالفرائض، ونبتعد عن المحرمات. فالثوابت لا مجال للخيار فيها. وعند كل أمر ننظر إليه من جميع الزوايا، ونبذل الجهد للالتزام بالضوابط الشرعية، وذلك بالاعتماد على المصادر الأصلية، بالاتباع لا الابتداع: فإن تقرير أحكام الشرع والكلام في الدين لا يكون إلا بأصل شرعي أو بالبناء عليه. وقد نقل الإمام الشافعي، رحمه الله، الإجماع على أنه ليس لأحد كائناً من كان أن يقول إلا بعلم....

وهذا أمر لا ينبغي لعاقل يحذر على دينه أن يستريب فيه. وإلا هلك مع الهالكين. وهل ضلت الفرق وأضلت إلا بعد أن تركت هذا الأصل).(٢)

ثم إن شقاء الناس في هذه الدنيا، والعذاب الذي ينتظر أكثرهم في الآخرة مصدره اتباع الأهواء الضالة: والخير والسعادة فيها لا يحصلان إلا باتباع الشريعة وقهر الهوى الجامح).(٣)

وفي مجال القدوة: كان من كبار الصحابة رضوان الله عليهم من يترك المندوب مخافة أن يعتقد الناس أن واجب.

وهذا منهم محافظة على ثبات الحكم الشرعي. لأن ما كان مستحباً ينبغي أن

---

١) الفتاوى لابن تيمية رحمه الله، ص١٠/٣٨٨.

٢) الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، ٣٦٦، تأليف د. عابد السفياني، ط١/١٤٠٨هـ، نشر وتوزيع مكتبة المنارة، مكة المكرمة.

١) الموافقات للشاطبي ٤/١٧٠.

يكون كذلك. ومن اعتقد أنه واجب يُبين له بالقول وبالفعل أنه غير واجب. وترك بعض الصحابة له بيان بالعمل على أنه ليس بواجب. وهذا البيان، وهو المحافظة على ثبات الحكم، آكد فهو إذن مقدم على فعل المستحب.

ونضرب لذلك مثالاً يثبت ما نقصد إليه، ونكتفي ببيان موقفهم من الأضحية وهي مستحبة عند أكثر أهل العلم. وقد كان أبوبكر وعمر أبو مسعود الأنصاري لا يُضحون لكي لا يظن الناس أن الأضحية واجبة وحتم عليهم.

روى أبوسريحة الغفاري الغفاري قال: ما أدركت أبابكر أو رأيت أبابكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يضحيان في بعض حديثهم كراهية أن يقتدى بهما).[1] وعن أبي مسعود الأنصاري قال: إني لأدع الأضحى وإني لموسر مخافة أن يرى جيراني أنه حتم علي).[2]

(ولنذكر أن الأولويات نوعان: نوع ثابت وهو ما يتعلق بالعبادة ويشترك فيه جميع المسلمين على اختلاف قدراتهم وظروفهم وإمكاناتهم.

ونوع متغير وهو ما يتعلق بالعمل والظروف الاجتماعية والشخصية. فالنوع الأول معاييره العالية واضحة، والجميع في مضمار سباق لتحقيق أكبر قدر من النقاط. أما النوع الثاني فمعاييره متغيرة وتخضع لتقدير الفرد الشخصي).[3]

وعليه، تكون المسلمة واعية ناضجة وعلى بصيرة من أمرها. ذات شخصية متميزة، لا تقلد غيرها، بعيدة عن أمراض التبعية، فقد جاء فيما أخرجه الترمذي وحسنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: **«لا تكونوا إمعة تقولون: إن**

---

٢) رواه البيهقي وقال الألباني حديث صحيح، ينظر إرواء العليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٣٥٥/٤.

٣) رواه البيهقي وقال الألباني حديث صحيح، ينظر إرواء العليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٣٥٥/٤. من كتاب الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، ١٢٢-١٢٣.

١) العادات العشر للشخصية الناجمة، ١٨١، د. إبراهيم بن حمد العقيّد.

أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا». (١)

والإمعة هو المقلد الذي يتبع كل ناعق تابعاً لدين غيره.

فماذا عمن تغالي في الملابس، ليشغلها الترف عن جليل الأمور، وليصبح عدونا هو المستفيد الوحيد، حيث يبتز مالنا وثرواتنا، ويشغل وقتنا وفكرنا بالتوافه...

فلنحاسب أنفسنا قبل أن يستفحل الأمر ويتسع الخرق على الراقع ونكون كما قال الشاعر:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا   فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

ثم إنه:

«من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله، ثم يلهب فيه النار». (٢)

---

٢) أخرجه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو.

٣) رواه أبوداود والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنه والحديث حسنه الألباني، ينظر صحيح الجامع الصغير.

٤) فقه الموازنات:

(الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وترجيح خير الخيرين، ودفع شر الشرين، وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما.

والدليل على ذلك بأن الله تعالى قيد الأمور بالقدرة والاستطاعة والوسع والطاقة: فقال تعالى: «**فاتقوا الله ما استطعتم**» وقال جل شأنه: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾...

والتعارض إما بين حسنتين لا يمكن الجمع بينهما فيقدم أحسنهما بتفويت المرجوح.

وإما بين سيئتين لا يمكن الخلو منهما فيدفع أسوأهما باحتمال أدناهما.

وإما بين حسنة وسيئة لا يمك التفريق بينهما، بل فعل الحسنة مستلزم لوقوع السيئة، وترك السيئة مستلزم لترك الحسنة، فيرجح الأرجح من منفعة الحسنة ومضرة السيئة.

فالأول: كالواجب والمستحب. وكفرض العين وفرض الكفاية. مثل تقديم قضاء الدين المطالب به على صدقة التطوع.

والثاني: كتقديم نفقة الأهل على نفقة الجهاد والذي لم يتعين. وتقديم نفقة الوالدين عليه. كما في الحديث الصحيح: عن الرسول صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟ قال: **الصلاة على مواقيتها.** قلت ثم أي قال: **بر الوالدين،** قلت ثم أي؟ قال: **الجهاد في سبيل الله.**

وتقديم الجهاد على الحج كما في الكتاب والسنة متعين على متعين ومستحب على مستحب. وتقديم قراءة القرآن على الذكر، إذا استويا في عمل القلب واللسان. وتقديم الصلاة عليهما إذا شاركتهما في عمل القلب وإلا فقد يترجح الذكر بالفهم والوجل على القراءة التي لا تجاوز الحناجر. وهذا باب واسع.

....وأما سقوط الواجب لمضرة في الدنيا، وإباحة المحرم لحاجة في الدنيا فذلك كسقوط الصيام لأجل السفر، وأركان الصلاة لأجل المرض).[1]

إن جلب مصلحة مالا يصح بسببه الإضرار بالغير. فكيف تلزم المرأة زوجها بالاقتراض، وتتبع لتصل إلى ذلك شتى الأساليب... وهذا لشراء زينة تلبسها أو ثوب تلبسه في مناسبة ما!

إن المصالح إذا تعارضت فُوِّتَتْ المصلحة الدنيا في سبيل المصلحة العليا. وضُحي بالمصلحة الخاصة من أجل المصلحة العامة. ويعوض صاحب المصلحة الخاصة عما ضاع من مصالحه أو ما نزل به من ضرر. وألغيت المصلحة الطارئة لتحصيل المصلحة الدائمة أو الطويلة المدى.

وأهملت المصلحة الشكلية لتحقيق المصلحة الجوهرية.

وغلبت المصلحة المتيقنة على المظنونة أو الموهومة. وإذا تعارضت المفاسد والمضار ولم يكن بد من بعضها فمن المقرر أن يرتكب أخف المفسدتين وأهون الضررين.

وهكذا قرر الفقهاء أن الضرر يزال بقدر الإمكان. وأن الضرر لا يزال بضرر مثله أو أكبر منه. وأنه يتحمل الضرر الأدنى لرفع الضرر الأعلى، ويتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام...

وإذا تعارضت المفاسد والمصالح أو المنافع والمضار، فالمقرر أن ينظر إلى حجم كل من المصلحة والمفسدة وأثرها ومداها. فتغتفر المفسدة اليسيرة لجلب المصلحة الكبيرة. وتُغتفر المفسدة المؤقتة لجلب المصلحة الدائمة أو الطويلة المدى.

وتقبل المفسدة وإن كبرت إذا كانت إزالتها تؤدي إلى ما هو أكبر منها. وفي الحالات العادية يقدم درء المفسدة على جلب المصلحة.

---

[1]) الفتاوى لابن تيمية ٢٠/٥٤.

وليس المهم أن نسلم بهذا الفقه نظرياً بل المهم كل المهم أن نمارسه عملياً).(١)

- فماذا عمن اهتمت بالسواك والمبالغة فيه وأهملت الموالاة في الوضوء أو إسباغ غسل أعضاء الوضوء.
- وماذا عن امرأة اهتمت بزينتها للزوج، وأهملت الغسل من الجنابة مثلاً حتى فات وقت الصلاة.
- وأيهما أولى للمرأة الاجتهاد في النوافل، أم متابعة أبنائها وتوجيههم؟
- وأيهما أولى للفتاة. الزواج لإعفاف النفس وإحصانها وزيادة ذرية المسلمين؟ أم العزوف عنه بحجة التفرغ للدراسة أو إكمالها؟

● أما «هدى» فقد ازدادت مشاكلها مع زوجها في الآونة الأخيرة... إنها «معلمة» وعليها القيام بأعباء الوظيفة... إنها أم وعليها واجبات تجاه أبنائها... إنها عضوة في المجتمع واجبها البر وصلة الأرحام... عدا واجبها في طاعة زوجها.

رتبت أولوياتها: إن واجبها نحو أبنائها لا يمكن لأحد القيام به غيرها. وكذلك صلة الرحم وواجباتها الأسرية.

استعانت بأحد محارمها وطلبت مشورته: فلا بد أن تخفف عنها بعض الأعباء مما يخفف عنها الضغوط وبالتالي تحل مشاكلها مع زوجها...

فكان أن تركت التعليم، فتجاوزت المحنة بسلام وعاشت حياة مستقرة. وشأنها هذا كما قال الشاعر:

إن اللبيب إذا بدا من جسمه   مرضان مختلفان داوى الأخطرا

ثم إن الوسائل إذا تعددت وكانت مشروعة كلها، فالأصلح منها قد تدخله

---

١) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة ٢٧-٢٨، ط٢، ١٤١٢، تأليف د. يوسف القرضاوي، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

النسبة الاعتبارية، بمعنى أن الأصلح والأفضل قد يختلف باختلاف الزمان والمكان والأشخاص.

فرب وسيلة تكون أفضل في وقت دون وقت. ورب وسيلة تكون أفضل في مكان دون مكان. ورب وسيلة تكون أفضل بالنسبة لشخص دون شخص آخر. والضابط في ذلك هو ملاحظة المصالح والنظر في مآلات الأفعال).[1]

(فلقد أباح الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء الخروج إلى المساجد للصلاة كما أبو داوود بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكن ليخرجن وهن تفلات.**[2]

هذا ما كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم حدث بعد ذلك أن تغيرت حالة النساء وأحدثن ما لم يكن في عصر النبوة. حتى قالت عائشة رضي الله عنها ما رواه أبو داوود: لو أدرك رسول الله ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل.[3]

فماذا عن امرأة تجد متعتها في الأسواق وتذهب جل وقتها فيها بحجة متابعة الجديد؟! وهي أبغض الأماكن إلى الله تعالى كما ذكر عليه أفضل الصلاة والسلام:

«أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها».[4]

وليس ما نقصده التبذل وعدم الاهتمام بالمظهر أمام النسوة المؤمنات حتى يقال: إن المتدينات عديمات الترتيب والأناقة أو نحو ذلك...

---

١) قواعد الوسائل في الشريعة ١٦٥.

٢) تفلة: غير متطيبة.

٣) الثبات والشمول في الشريعة ٤٦٥.

٤) أخرجه الإمام مسلم.

إننا نشدد النكير على ذوات الفهم الناقص بالتنسك والتزهد وإهمال النفس. فالنظافة والمظهر اللائق للمرأة ليست هامشية، والله تعالى يحب أن يرى على عبده أثر نعمته... ولكن الإعتدال مطلوب.

فلنجعل شعارنا أعط كل ذي حق حقه. نعطيه بالتوازن المشروع بين حقوق الروح والنفس والعقل. ولا يراعى حكم تحسيني إذا أخل بحكم ضروري أو حاجي...

فمن الأولويات عدم تضخيم الأمور أو تقزيمها، بل إعطاء كل أمر حقه وحجمه: قال الإمام العز بن عبد السلام: لا يخفى على عاقل قبل ورود الشرع أن تحصيل المصالح المحضة ودرء المفاسد المحضة عن نفس الإنسان وعن غيره محمود حسن. وأن تقديم أرجح المصالح فأرجحها محمود حسن. وأن درء أفسد المفاسد فأفسدها محمود حسن. واتفق الحكماء على ذلك.. إلى أن قال:

«واعلم أن تقديم الأصلح فالأصلح. ودرء الأفسد فالأفسد مركوز في طبائع العباد. ولا يقدم الصالح على الأصلح إلا جاهل بفضل الأصلح، أو شقي متجاهل لا ينظر إلى ما بين المرتبتين من التفاوت».(١)

وقد بين ابن حجر رحمه الله:

جواز النهي عن المستحبات إذا خُشي أن يفضي ذلك إلى السآمة والملل وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة أو المندوبة الراجح فعلها على الفعل المستحب المذكور.(٢)

---

١) مجلة البيان، العدد ١٧٧، من مقال بعنوان الأولويات وضوابط تحديدها، د. عادل بن محمد السليم.

٢- فتح الباري، ٢٤٩/٤ لابن حجر العسقلاني.

بعض القواعد الأصولية في الأولويات

من الأولويات معرفة فروض العين وفروض الكفاية. وكذلك معرفة مقاصد الشريعة الضرورية والحاجية والتحسينية، ليسير المسلم على بصيرة من أمره.

(وإن الحقوق الواجبة على المكلف على ضربين:

حقوق الله كالصلاة والصيام والحج. أو من حقوق الآدميين كالديون والنفقات والنصيحة... وهي إما حقوق محددة شرعاً أو غير محدودة.

فأما المحدودة المقدرة فلازمة لذمة المكلف حتى يخرج عنها كأثمان المشتريات وفرائض الصلوات.

وأما غير المحدودة فلازمة له، غير أنها لا تترتب في ذمته... مثل الصدقات المطلقة، ويدخل تحته سائر فروض الكفايات).

(وفرض الكفاية: ماله علاقة بإصلاح الخلق ومعاشهم.

والأمر بالمعروف ونحوه من فروض الكفاية. ويتعين على من كان له أهلاً. ومن العلوم: علم القراءات الشاذة والمشهورة والأحاديث الصحيحة وعلم الطب والرسم القرآني، وبعض الأخلاق فرض عين وبعضها فرض كفائي).[1]

(وكل ما كان من حقوق الله فلا خيرة فيه للمكلف على حال. وأما ما كان من حق العبد في نفسه، فله فيه الخيرة).[2]

فالصلاة والصوم والحج والطهارة فكلها من حقوق الله تعالى.

وتكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أن تكون ضرورية -حاجية- والثالث أن تكون تحسينية.*

---

١) الموافقات ١/١٠٢-١٠٣.

٢) الموافقات ٢/٢٦٢.

* ينظر ص ٣١/ تحت عنوان مقاصد الشريعة.

والطاعة إذا كانت تحقق مصلحة كبرى فهي ركن. وإن كانت تحقق مصلحة جزئية فهي نافلة.

والمعصية إذا كانت تجلب مضرة كبيرة فهي كبيرة من الكبائر. وإن كانت سبباً في ضرر قليل أو مفسدة جزئية فهي صغيرة من الصغائر التي تمحى بالاستغفار).[1]

ومن المقرر فقهاً أن النافلة لا يجوز تقديمها على الفريضة وأن فرض العين مقدم على فرض الكفاية. وأن فرض الكفاية الذي لم يقم به أحد أو عدد يكفي مقدم على فرض الكفاية الذي قام به من يكفي ويسد الثغرة. وأن فرض العين المتعلق بالجماعة والأمة مقدم على فرض العين المتعلق بحقوق الأفراد.

وأن الواجب المحدد الوقت والذي جاء وقته بالفعل، مقدم على الواجب الموسع في وقته.

ومن المقرر أن المصالح المقررة شرعاً متفاوتة فيما بينها. فالمصالح الضرورية مقدمة على الحاجية والتحسينية والمصالح الحاجية مقدمة على التحسينية).[2]

فالضروريات أهم المقاصد الشرعية تليها الحاجيات تليها التحسينيات، فعمل المرأة في فضول النظافة والترتيب وتلميع الجدران ونحوها.... إذا تعارض مع العمل الدعوي سواء كان في مدرسة أو تجمع عائلي أو زيارة للجارات مثلاً فأيهما أولى؟ إن الأعمال الأولى تحسينية والعمل الدعوي فرض كفائي إلا إذا تعين عليها فيصبح فرض عين، فهو أولى.

أما العمل المنزلي من طبخ لا تقوم به إلا هي وذلك في منطقة لا توجد بها المطاعم مثلاً أو أن إمكانيات الأسرة المادية لا تحتمل ذلك. فعملها في المنزل أولى

---

١) الموافقات ٢/٣٠٠.

٢) أولويات الحركة الإسلامية ٣٦.

لأنه يكون من فروض العين، والعمل الدعوي فرض كفائي.

ومن القواعد الأصولية:

«إذا ازدحم واجبان لا يمكن جمعهما نقدم أوكدهما. ولم يكن الآخر في هذه الحال واجباً. ولم يكن تاركه لأجل فعله الأوكد تارك الواجب في الحقيقة».(١)

- «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وما لا يتم المندوب إلا به فهو مندوب وما لا يتم فعل الحرام إلا به فهو حرام. وما لا يتم فعل المكروه إلا به فهو مكروه وما لا يتم المباح إلا به فهو مباح.

مثال ذلك: المشي إن كان لواجب كصلاة جمعة فهو واجب. وإن كان لمحرم كفعل فاحشة فهو محرم. وإن كان لمندوب كزيارة صديق فهو مندوب. وإن كان لمكروه كحضور مجلس لغو فهو مكروه. وإن كان لنزهة فهو مباح».(٢)

فلو استعملت المرأة قارورة من قوارير «العصير» مثلاً لشرب الماء فهو مباح. أما لو وضعت بها سائلاً مضراً ووضعته بمتناول أبناء الجيران، غيرة منها ليشرب به أحد صغارهم. فهذا استعمال محرم لتأكدها من تناول مسلم له وتضرره به. ولو وضعته في مكان آمن فهو جائز.

- والواجب تقديم الفرائض كلها على النوافل. وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفاية. وتقديم الأهم من فروض الأعيان على ما دونه. وتقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد. ومن لا يفي ما له بنفقة الوالدين والحج فينبغي أن يقدم حقهما على الحج».(٣)

---

١) الفتاوى لابن تيمية رحمه الله، ٥٧/٢٠.

٢) قواعد الوسائل في الشريعة ٢٣٣، تأليف د. مصطفى بن كرامة الله مخدوم، ط١، ١٤٢٠هـ الرياض.

٣) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ٦٤٢/٣.

* ما حد له الشارع وقتاً محدداً من الواجبات أو المندوبات، فإيقاعه في وقته لا تقصير فيه شرعاً ولا عتب ولا ذم. وإنما العتب والذم في إخراجه عن وقته سواءً أكان وقتاً مضيقاً أو موسعاً).(١)

• درء المفاسد مقدم على جلب المصالح:

(إن درء المفاسد مطلب شرعي وذلك للمحافظة على الدين.

ولكن من أين نعلم أن هذا مفسدة؟

والجواب: من الشارع. لأنه لا يستقل العقل بدرك المصلحة والمفسدة فإذا قلنا هذا مفسدة، فلا بد من شهادة الشرع لما نقول. وكذلك إذا قلنا إنه مصلحة.

ولقد استفتي الشاطبي رحمه الله: هل يباح لأهل الأندلس بيع الأشياء التي منع العلماء بيعها من أهل الحرب كالسلاح وغيره، لكونهم محتاجين إلى النصارى في أشياء أخرى من المأكول والملبوس وغير ذلك، أم لا فرق بين أهل الأندلس وغيرهم من أرض الإسلام؟!

فأجاب الشاطبي بالمنع. ولم يلتفت إلى الضرورة التي تعلّل بها المستفتون. لأنه رأى أن حماية المسلمين من العدو وما تقتضيه تلك الحماية من عدم تمكينه مما يعينه عليهم، أولى من حاجة بعض الناس إلى الطعام).(٢)

فالضرورة تقدر بقدرها.

ويتحمل الضرر الأخف لدفع الضرر الأشد.

ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

أما (مها) فكانت تريد العناية بصحتها وجمالها فصارت تنفرد بالقوت دون

---

١) الموافقات للشاطبي رحمه الله، ١/١٠٠.

٢) الثبات والشمول، ٤٦٣.

أولادها وتستبد به وتخص نفسها دونهم، رغم أن هذا ليس من طبع الأم السوية والتي تقدم حظ أولادها على نفسها وتؤثرهم ولا تحابي نفسها عليهم.

أما الأم المربية فهي تعين أبناءها على البر بها وتحميهم من مفسدة العقوق ومغبته، معها أو مع والدهم وذوي الحقوق عليهم.

• وجوب سد الذرائع:

الذرائع هي: ما ظاهره مباح ويتوصل به إلى محرم. أو هي المسألة التي ظاهرها الإباحة ويتوصل بها إلى فعل محظور.(١)

ومما يدل على وجوب سد الذرائع قوله تعالى: ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم**﴾.(٢)

فمنع الله تعالى من هذا الفعل على ما فيه من المصلحة، وذلك لتحقيق مفسدة أكبر وهي سب المشركين لله تعالى.

ولقد حرم عليه الصلاة والسلام الخلوة بالمرأة الأجنبية، وأن تسافر مع غير محرم، ونهى عن بناء المساجد على القبور وعن الصلاة إليها وعن الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها وقال: **إنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم**».

وحرم نكاح ما فوق الأربع لقوله تعالى: ﴿**ذلك أدنى ألا تعولوا**﴾ النساء/٣. وحرمت خطبة المعتدة تصريحاً ونكاحها، وحرم على المرأة في عدة الوفاة الطيب والزينة وسائر دواعي النكاح...

كل ذلك سداً لذريعة الفساد.(٣)

---

١) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، ٣٦٦.

٢) سورة الأنعام، ١٠٨.

٣) الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية، ٣٥٩.

أرادت (مهـا) السـفر إلى مـكان تكشف وعـري. وكـان السفـر للفسـحة والترفيه... فما الحكم وما ذلك السفر إلا مطية للتزود من الخطايا والآثام؟!

إن ما يؤدي إلى المحرم فهو محـرم لا شك في ذلك. والمرأة الصالحة تتحرز من فعله.

وقد جاء في الحديث الصحيح ما رواه أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**».

فيـجب الابتعاد عمـا يلهب العواطف والأهواء. وكل ما يؤجج الشـرور، وما يتسبب في التقاعس عن فعل الخير، وعبادة الله كما يحب سبحانه وتعالى.

* * *

المبحث الثاني
الأولويات في ميزان الإداريين والتربويين

إن الأمم التي تريد أن تنهض بمجتمعاتها تلتفت إلى الأهم:

عندما زار الرئيس الأمريكي الأسبق -نيكسون- الصين، عقد مؤتمراً صحفياً، وسئل فيه أحد المسؤولين الصينيين عن أسباب تحقيق معجزة العصر التنموية (في الصين) فطلب منهم أن يخمنوا. قال صحفي: السبب يعود إلى عظمة الشعب الصيني. وقال آخر: سببها انضباط الفرد الصيني...

أجاب المسؤول: الفضل الوحيد هو سياسة الدراجة. فلو لم نعتمد في تنقلاتنا عليها، واعتمدنا على السيارة لاضطررنا إلى استيرادها من العالم الرأسمالي حيث توجد... وعند ذلك سنتحول إلى عبيد يكدحون من أجل استيراد قطع الغيار لهذه السيارات!

هلا رضينا بما رضيت به الصينيات، فتعيش المسلمة هموم أمتها! عندها تتحول النوايا الصالحة إلى عمل جاد ونافع.

إن المرأة الناجحة هي من تحسن التوفيق بين الأعمال. فإذا ازدحمت عليها لا تتركها جميعاً.

أما (هيفاء) فقد كانت الهموم تعصر قلبها، وهي تتثاءب في فراشها، ها قد بدا يوم جديد، فأي عمل ستقوم به من الأعمال التي تنتظرها؟ أهو الطبخ أم التسلية أم التسوق أم الإشراف على الأولاد؟...

وبتثاقل كئيب وصلت إلى المطبخ... ثم عادت لأنه ليس لديها أدنى (قابلية) للعمل؟!

أما إنها لو رتبت أولوياتها لما وقعت في ذلك الإرباك.

إن ترتيب الأولويات مهم للغاية، مريح لمن يتعود عليه، للرجال والنساء، سواء في البيت أو العمل وفي كل ميادين الحياة.

-١-

عملية ترتيب الأولويات

أمر نسبي، فما يناسب (س) قد لا يناسب (ع) وما يُلائم اليوم وهو من الأولويات فيه، قد لا يكون على هذه الدرجة غداً. فمن أجل رؤية ناضجة للحياة يؤخذ ذلك في الحسبان عند ترتيب أولوياتنا.

وعلى العموم: نحرص على البعد عن مضيعات الوقت، ونجعل هوانا تبعاً للشرع ونعتاد على ذلك، ثم نلتفت إلى العمل الأكثر ضرورة. أما من يقدم الكمالي على الضروري فهو كمن يبني الدور الثاني وهو لما يضع الأساس بعد، فهل يتم له ذلك؟!

ولعل عبارة «سلم الأولويات» والتي كثيراً ما نسمعها، ترمز إلى الخطوة تليها الأخرى، ولا نصل إلى العليا قبل السفلى، وإلا أضر المرء بنفسه وبمن حوله، وخاب في سعيه إلى الوصول. ولا تكثر المشاكل وتعم الفوضى في الحياة، إلا بسبب تضارب الأولويات مع الثانويات وعدم ترتيبها الترتيب السليم.

ومن نتائج الدراسات حول ترتيب الأولويات، وإمكانية تفويض بعض الأعمال للغير:

جدول ايزنهاور: الأمور عنده تقاس بمقياسين: مقياس الأهمية ومقياس الاستعجال.

وعليه، فالأمور إما مهمة وعاجلة مثل الأزمات الطارئة، والمهام التي اقترب موعدها. فهذه أعمال لا يمكن تفويضها لأحد ليعملها ولا يمكن تأجيلها.

- وأمور مهمة وغير عاجلة: وهذه يمكن تفويض أجزاء منها، مثل التدريب وإعداد الخطط والأنشطة الرئيسية.
- وأمور غير مهمة وغير عاجلة: يمكن تفويضها مثل الأمور المتكررة الروتينية أو

البسيطة.

- وأمور غير مهمة وعاجلة: مثل المكالمات والزيارات، والأفضل تفويضها، علماً أن المسؤولية لا تفوض.[1]

والإنسان الناجح والفاعل في هذه الحياة ليس الإنسان المنتج أو الذي ينجز الأمور فقط، بل هو الإنسان الذي يحقق النتائج المطلوبة في الوقت المتاح.

مع الاستعداد لتغيير نوع أو درجة الأولويات حسب الحال:

فقد يكون الأمر قليل الأهمية الآن، ولكنه بعد أسبوع يكون عالي الأهمية، لقرب موعد إنهائه أو لتطور جديد من أي نوع. وقد يكون الأمر عاجلاً جداً الآن، وبعد ساعتين تنتهي هذه العجلة. يكون الأمر عاجلاً جداً الآن، وبعد ساعتين تنتهي هذه العجلة. ويمكن عن طريق التخطيط تفادي أي إرباك في مباشرة الأولويات وكقاعدة عامة:

«لا تؤجل أولوية اليوم إلى الغد. لا تؤجل عاجل الساعة إذا كان مهماً ضرورياً إلى ساعة أخرى».[2]

فيجب أن لا نبدد أوقاتنا ونذهب عمرنا سدى، ونضيع معارفنا باللامبالاة.. وكامرأة مسلمة لا بد أن أسأل نفسي: هل أنا مؤدية لواجبي؟

في عباداتي من صلاة وصيام و.... وصلة الأرحام والبر بالوالدين....

وماذا يمكن أن أستمر عليه من برامج نافعة، كتابة، حفظ القرآن الكريم... وماذا يجب أن أقلع عنه وأتركه؟ قد يكون ذلك زيارات غير ذات جدوى مثلاً (فيها لغو الكلام...) أو إطالة المكالمات الهاتفية مثلاً.

---

١) عن مجلة المجتمع العدد ١٤٤٩، من مقالة بعنوان: تنظيم الوقت، د. صلاح الدين محمود وينظر أيضاً: العادات العشر للشخصية الناجحة ١٧٤.

٢) العادات العشر للشخصية الناجحة ١٨٢، د. إبراهيم بن حمد القعيِّد، نشر دار المعرفة للتنمية البشرية، الرياض، ط٢/١٤٢٢هـ.

(وماذا يمكن أن أفعل ليتحسن وضع أسرتي؟ من حيث الدين، أو تماسك الأسرة، أو الدخل المادي؟

لا أن نجعل التخسيس والتبييض والهندام هو في قمة الأولويات؟ وإنما نفكر! ماذا يمكن أن أفعله بجودة أكثر؟ أهو عملي المهني؟ أو الأسري؟

قد يقتضي ذلك متابعة الجديد في مجال التخصص، أو تربية الأولاد أو تدبير المنزل...

بذلك نطور مهاراتنا، ونحسن أداءنا، وقبل كل ذلك نرضي ربنا عزوجل.



-٢-

وضع الأهداف ضرورة لا بد منها

(هناك حاجات أساسية هامة في حياة الإنسان، وهذه الحاجات إن لم نشبعها تصبح حياتنا فارغة وناقصة...

إن جوهر هذه الحاجات يمكن إيجازه في مقولة: (أن تعيش وتحب وتتعلم وتترك وراءك الأثر الطيب).

وهي حاجات تتعلق بإيجاد معنى للحياة وهدف منها. كما تشمل التوازن الشخصي والإضافة المعنوية للحياة).(١)

هذه كلمات إداريين أجانب، أما نحن المسلمين، فهدفنا الأسمى في الحياة: عبادة الله وحده لا شريك له، نسعى جميعاً لأدائها على أكمل وجه.

ومن المعلوم أن الشخص الذي ليس لديه رسالة واضحة في حياته ولم يحدد أهدافه الكبيرة، ولم يحولها إلى أهداف ومهام أصغر، لا يمكن أن يحدد أولوياته.

وإذا سألت عن السر الذي يجعل الأولويات مختلطة عند كثير من الناس، مما يؤدي إلى شغل أوقاتهم في الأمور العاجلة غير الضرورية والتي أكثرها أمور تافهة وهامشية. فإن السبب باختصار يكمن في أن هؤلاء ليس لديهم أهداف واضحة في حياتهم. أو أنهم يدركون بأن لديهم أهدافاً واضحة لكنهم يؤجلونها ويسوفون في تحقيقها).(٢)

(فتحديد رسالة المرء في الحياة، تعطيه القاعدة والأساسية التي في ضوئها يقرر على أي حائط سيسند السلم الذي سيصعد إليه إلى أعلى).(٣)

(١-٣) إدارة الأولويات (الأهم أولاً) ص١٥٨-١١٥، تأليف ستيفن، ر. كوفي، ورروجر ميريل ريبكا ميريل، ترجمة د. السيد المتولي حسن، ط١، ١٩٩٩م، نشر مكتبة جرير، الرياض.

٢) العادات العشر للشخصية الناجحة، ١٨٠.

وقد أشارت الدراسات النفسية إلى أن شعور الإنسان بأنه يسير في اتجاه هدفه أو أنه قريب منه يشحنه بروح قوية من الحماس والنشاط، ويجعله يتذوق طعم النجاح وينتقل من نجاح إلى آخر).[1] وتحديد الأهداف يعني -إن شاء الله- نصف الطريق إلى تحقيقها فالإنسان الذي يعرف ما يريد، تراه يبحث عن كل الطرق والوسائل للوصول.

أما الشخص الذي لا يعرف ما يريد، فلو قدم له الناس كل أنواع المساعدة، فقد لا تفيده على الإطلاق).[2]

إن عملية وضع الأهداف عملية هامة. إنها مبينة على مبدأ التركيز الذي يسمح لنا بتجميع أشعة الشمس المنتشرة في عدسة قارورة على إشعال حريق...

إنها العامل المشترك لنجاح الأفراد والمنظمات. ولكن رغم مزاياها الواضحة، فإن الخبرة والمشاعر حول عملية تحديد الأهداف تختلط. فبعضنا يمكنه وضع أهداف طموحة، ويمارس انضباطاً هائلاً وفي النهاية يدفع ثمن الإنجاز الكبير.

أما البعض الآخر فلا يمكنه الالتزام بهدف عادي لمدة يومين.

وعليه، يجب أن تستند الأهداف إلى مبادئ واضحة وقيم نافعة مما يحقق حياة متوازنة. وإلا فإن كثيراً من الفنانين وصلوا إلى أهدافهم من الشهرة...

وكم من الرياضيين نالوا أمجادهم التي يتطلعون إليها في البطولة، ومع ذلك يعيشون حياة تفتقر إلى السعادة. وما ذاك إلا لبعدهم عن التوازن في أهدافهم.

إن تحديد الهدف والسعي للوصول إليه، يساعد على مواجهة التحديات ويعطي المرء قوة تدفعه للعمل، وراحة نفسية وسعادة غامرة إذا هو قام بذلك.

وقد قال برناردشو: (السعادة الحقيقية في الحياة: هي أن تقضي حياتك من أجل هدف تعتقد أنه هدف مقدس. أن تكون قوة من قوى الحياة بدلاً من أن

١-٢) العادات العشر للشخصين الناجحة، ٢١٠/٢٣٠.

تكون مجرد شيء صغير، أنانياً معزولاً مليئاً بالشكوى والأحزان، يندب حظه أن هذا العالم لم يكرس نفسه لجعله سعيداً.(١)

وليس من هدف أفضل من الجنة، والسعي للوصول إليها، وأكرم به من هدف سام.

وأهمية تحديد الهدف كما ينطبق على الأفراد. لا بد وأن يشمل الجماعات أيضاً. فاليابانيون عندما وضع الهدف بأذهانهم، نجحوا في زرع القيم التي ترتكز على حب العمل والتركيز على عنصر الجودة وذلك في المجتمع بأسره.

وفي ماليزيا، جعل من أولويات القيم الماليزية: أن قيام الرجل الماليزي بمسؤولياته تجاه أسرته ومجتمعة يأتي قبل حقه في المطالبة بمزاياه الفردية.

فإذا ما تمادى الفرد بالتعدي على حقوق المجتمع، فإن ذلك الشخص يكون فعلاً قد سرق من حقوق الأغلبية. ويسعى بكل أنانية لخدمة مصالحه الخاصة. وهذا ما هو مرفوض في ظل القيم الآسيوية الماليزية).(٢) فلتسأل الواحدة منا نفسها: ماذا يمكن أن أفعله؟ وماذا أحسن فعله بإتقان أكثر؟

وهل نجحت في دوري كمسلمة عابدة - وربة بيت وزوجة ناجحة)، وأم مربية، واجتماعية ناضجة؟!

لنحدد هدفنا ثم لنلتزم بتنفيذه، سواء كان دينياً أو شخصياً أو صحياً... الخ. وإن وجدنا أن الأهداف الكبيرة بعيدة المنال، فلنحاول... لنضع الأهداف المرحلية في هذا العام سأعمل كذا بإذن الله. احفظ كذا من القرآن الكريم... أدرس كتاباً يعرفني بمسؤوليتي كأم صالحة ومصلحة... وهكذا..

وكلما نجحنا في الوصول إلى الهدف المرحلي، تطلعنا إلى الأكبر. ورحم الله

---

١) إدارة الأولويات (الأهم أولاً) ص١٦٤، تأليف ستيفن ر. كوفي وآخرين.

٢) مجلة البيان العدد ١٧٨، من مقال بعنوان: الأبعاد القيمية وأثرها على التنمية في ماليزيا، عبدالحليم البراك.

عمر بن عبدالعزيز، فلقد نال الكثير من مباهج الدنيا وحظوتها ولما وصل إلى الخلافة تاقت نفسه إلى الجنة... فنشط لذلك الهدف السامي وعمل لبلوغه.

المهم أن نعرف ما نريد.. وأن تنسجم أهدافنا مع مبادئنا.. وأن يصبح هوانا تبعاً لما أراده الله. وأن نلتزم بتحقيق أهدافنا السامية.

والسؤال المطروح الآن هو: كيف أصل إلى أهدافي؟

❊ ❊ ❊

-٣-

أهمية التخطيط في الوصول إلى الهدف

التخطيط مهارة ثمينة.. وعندما يتمكن الإنسان من هذه المهارة، يمارسها في حياته، ويرى فوائدها المباشرة، يجد نفسه وقد ارتبط بالتخطيط وجعله جزءاً لا يتجزأ من حياته).(١)

إنه عملية تجميع المعلومات، وافتراض توقعات المستقبل، من أجل صياغة النشاطات اللازمة لتحقيق الأهداف).(٢)

وفي حياتنا أمثلة كثيرة تبين نتائج التخطيط الإيجابية:

- فلقد كانت الفوضى تضرب أطنابها في بيت زهرة:

وكلما أراد زوجها ورقة بحثت عنها في كل درج ومكتب!

وإذا أراد ابنها جواربه جرت إلى الدواليب بحثاً عنها...

وإذا فكرت باستعمال أداة من أدوات المطبخ، سارعت إلى بعثرة ما فيه، علّها تجد غايتها المنشودة!

أضحت (زهرة) قاتمة الوجه، كثيرة الشكوى، ساخطة كئيبة. فالأعمال تثقلها، والمشاكل تلاحقها، والعلاقات السيئة مع الآخرين كانت تزيد كل يوم بسبب تعكر مزاجها...

ولما أرشدتها صاحبتها الناضجة إلى التنظيم، وحسن التخطيط، وأن تقوم بواجبها دون تسويف... ومن ثم عملت بالنصيحة فوضعتها موضع التنفيذ ولم تركن إلى الأماني والأحلام...

---

١) العادات العشر للشخصية الناجحة ٢١٧.

٢) دليل التدريب القيادي ١٠٦.

عادت إلى وجهها البشاشة، وإلى نفسها الحيوية، وإلى حياتها التعامل الهادئ الودود، وأصبحت الأسرة أكثر تعاطفاً وتماسكاً.

فالإنجاز الحسن إنما هو نتاج تخطيط حسن، وتنفيذ جيد، دون استعجال. ولنذكر: أن من استعجل الشيء قبل أوانه، عوقب بحرمانه. كما يقول فقهاؤنا الأفاضل.

لذا يحسن وضع أهداف طويلة ومتوسطة وقصيرة الأجل، ومن ثم لا نتقاعس عن التنفيذ.

(فالتخطيط اليومي يعطينا رؤية محدودة ليوم واحد، أو لقطة مكبرة مقربة تجعلنا مشغولين بما هو قريب جداً من أعيننا.

أما التخطيط الأسبوعي؛ فيقدم لنا المنظور الأوسع والشامل لما نقوم به).[1]

فبالتخطيط نحدد الخطوات التي نتوقع أن توصلنا إلى ما نصبوا إليه في برنامج محدد واضح.

● **من فوائد التخطيط:** أنه يجنب نتائج العمل الإنحراف عن الهدف المحدد، **ويشجع على الإنجاز... ويضمن الاستخدام الأمثل للإمكانات والموارد).**[2]

ولقد كتب بنيامين فرانكلين منذ أكثر من مائتي عام يقول:

إنه إذا أردت أن تستمتع بواحدة من أمتع وأجمل رفاهيات الحياة، وهي: أن يكون لديك وقت كاف لكي تستريح، لكي تفكر ولكي تقوم بإنجاز الأعمال المطلوبة منك على خير وجه، فإن هناك وسيلة واحدة فقط وهي: أن تأخذ وقتاً كافياً في التخطيط للأشياء طبقاً لأهميتها. وأن يكون لك بالتالي أولويات).[3]

---

١) إدارة الأولويات ١٦٤.

٢) دليل التدريب القيادي ١٠٧.

٣) مجلة المنار الجديد، العدد ٥٥، شهر ٢٠٠٢/٤م.

فبالتخطيط الجيد نصنع سعادتنا، لا أن تكون أعمالنا تحت الضغط الملح والطلب السريع.

ويساعد التخطيط على استغلال الفرص المتاحة لتحقيق الأهداف بعيداً عن العشوائية، على أن يكون ذلك بمرونة. فهو التخطيط الجاد والمرن في آن واحد.

أما أن تكون تخطيطاتنا قيوداً تكبلنا عن عمل الأهم، وتحرمنا من القيام بالواجبات، لأن تلك الواجبات لم تكن ضمن مخططاتنا فهذا خطأ!

وإن شعرنا أن تخطيطاتنا هي ضغوط لنا، ونحن مغلوبين على أمرنا إذ لا نقدر على تجاوزها. فهذا خطأ يحرمنا سعادتنا.

.... إنه وإن كان لا بد للعمل كي ينجح من تخطيط مسبق له، لكن هذا لا يعني أن نضع أنفسنا أسرى لما خططنا له وحسناً ما قيل:

(الاعتقاد بأن تحديد الأولويات ثم السعي لتحقيقها هو الفاعلية أمر يقود إلى الحماقة.

أي أن نكون نحن وقيمنا هي القوانين لأنفسنا ثم ننظر إلى الآخرين على أنهم أشياء أو مواد نستخدمها للوصول إلى ما نريد. إن هذه القيم لن تجلب السعادة إلى حياتنا ما دمنا لا نهتم بالمبادئ).[1]

فمن كان لديها غير العبادات اليومية (من صلاة وقراءة القرآن.... لديها في أحد الأيام: وليمة غداء + تسوق + فسحة هذا كان جدولها الذي خططت له مسبقاً...

ومن ثم مرضت الجدة. فما العمل؟

هل تتمسك بالمقرر لأعمالها؟ ولو على حساب مسؤولياتها؟!

---

١) إدارة الأولويات ٦٩.

إن التخطيط المرن يعني: أن يؤجل ما يمكن تأجيله...

إذن فليؤجل التسوق أو الفسحة مثلاً... لأن زيارة المريضة أولى وصلة الأرحام والبر واجبة ويجب أن لا نتهرب من الواجب.

• • •

● (رهام) كانت تريد أن تعمل كيت وكيت..

كانت تريد أن تتعلم اللغة الأجنبية - وتأمل أن تحفظ القرآن الكريم - وتتمنى أن تقوم بواجباتها المنزلية بصورة أفضل...

ولكن ذلك كله سرعان ما يتلاشى... وتعاود الروتين الذي كثيراً ما كانت تشكو منه:

تشكو أن حياتها مملة.. أكل وشرب ونوم وعمل في المطبخ لا ينتهي، (وريجيم) لا ينضبط... وصويحبات تشكو من ثرثرتهن...

وطفش يلاحقها!!

أما إنها لو اعتمدت على نفسها، بعد توكلها على الله، وعملت حسب خطة سليمة، وبرنامج زمني يبلور أهدافها... لنجحت وأصبحت بهمتها العالية ذات كيان محترم.

• • •

● ولنذكر أن إسعاد من حولنا يزيد سعادتنا. فلنسع إلى عمل علاقات طيبة وصحية مع الآخرين. نستفيد من آرائهم، وننتقي من أطايب نصحهم ما ينفعنا. ونتبادل المعلومات المفيدة.

ومن ثم نخطط للوصول لأهدافنا حسب ما يناسبنا. ولا نتكل على غيرنا في ذلك. (فإن أفضل شخص يحدد أولوياتك هو أنت. ولكن لا بأس من الاستعانة بالآخرين واستشارتهم والاستفادة مما يقدمون من أفكار وتسهيلات).(١)

أما من يقلد الآخرين فقد يبوء بالفشل. فلنقتبس ما يلائمنا لأن الحكمة ضالة المؤمن.

● يوم في حياة «صالحة»:

«صالحة» امرأة كانت تنوي أن تكون منظمة وواقعية.

بدأت «صالحة» منذ الصباح الباكر تسجل ما أنجزته فعلاً، وما بقي من أعمالها أيضاً!

سجلت حتى أعمالها البسيطة: استعملت الفرشاة لأسنانها، تناولت طعام الإفطار، أدت صلاتها، زارت صديقتها، قرأت وردها من القرآن الكريم، ساعدت أمها في أعمال المطبخ... الخ.

سجلت كل ذلك. لأنها تعلم أن هذا يعينها لمعرفة الوقت المهدور وراعت ذلك في مخططها المستقبلي...

لقد استفادت كثيراً: تربى وعيها، فبدأت تضبط نفسها باتزان، كما وتدربت أن تحيا لأهدافها، وأن تحسن التحكم في تصرفاتها فتلغي ما يحسن إلغاؤه.

لقد أضحت «صالحة» امرأة بارعة في التخطيط، واكتسبت خبرة ساعدتها في الوصول بسهولة ويسر إلى تحقيق أحلامها.

وهكذا فبالتخطيط الهادف، نستطيع أن نستفيد من أوقاتنا، ونقوم بأهم واجباتنا.

---

١) العادات العشر للشخصية الناجحة ١٨١، د. إبراهيم بن حمد القعيّد، ط٢، ١٤٢٢هـ، دار المعرفة للتنمية البشرية، الرياض.

-٤-

خصائص الناس الذين يعيشون وفق المبادئ والمثل العليا

إن أصحاب الأهداف يعيشون لتحقيقها، ويحسون بقيمة إنجازاتهم، خلافاً لأصحاب الأهواء والمنافع القريبة، وفيما يلي أبرز صفاتهم:

- **إنهم أكثر مرونة وتلقائية:** لأنهم يستمدون الأمن من البوصلة الداخلية التي تدفعهم إلى الإبحار بثقة إلى المجهول.
- **علاقاتهم بالغير أغنى وأكثر نفعاً:** ولا يدخلون في حلبات الصراع والمنافسة واللوم مع الآخرين، ويرون في كل الناس فرصاً غير محدودة للنجاح.
- **أكثر استعداداً للتفاعل الإيجابي مع الغير:** ويعرفون كيفية الاستفادة من نقاط القوة لديهم، وكيفية تعويض نقاط الضعف بالتكامل مع نقاط القوة عند الغير.
- **إنهم يتعلمون باستمرار.**
- **إنهم يصبحون أكثر تركيزاً على العطاء والمنح**، بدل الأخذ، وتحسين حياتهم وحياة من حولهم.
- **يضعون الحدود لأنفسهم**، يستخدمون الحكمة، ينفقون باتزان، ويدخرون، ويستثمرون للمستقبل، حياتهم أكثر توازناً، ولا يستفزهم العمل.
- **لديهم نظام نفسي سليم يمكنهم من مواجهة المشكلات:** مملؤون بالثقة والاطمئنان. ثقة تأتي من الداخل، من مبادئهم والعيش وفق ما يمليه الضمير.
- **قادرون على تنفيذ ما يقولون:** فلا نفاق، ولا ازدواجية عندهم بين الضمير والعقل. لهم دائماً رصيد كبير من الكرامة والصلابة الذاتية.
- **إنهم يشعرون بالطاقة الإيجابية:** فهم أكثر مرحاً وتفاؤلاً وحماساً وتغلباً على المعوقات.

- **يستمتعون أكثر بالحياة:** يعيشون الحاضر باستمتاع ومرح ويخططون للمستقبل بعناية.

وبإيجاز..

إن العيش وفق المبادئ ليس بالأمر الهين، ولكنه يحقق جودة أفضل للحياة).[1]

ويحقق لأصحاب المبادئ أهدافهم، فلا يعيشون هملاً كما تعيش السائمة، بل يقومون بما يتوجب عليهم لصالح الدارين. قال تعالى:

﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

فعمل الصالحات والتواصي بالصبر وبالحق، من أبرز أولويات المسلمين.

---

١) إدارة الأولويات: (٤٣٠-٤٣٤) بإيجاز.

الفصل الثالث
الأولويات في حياة المرأة المسلمة

المبحث الأول: العقيدة أولاً

المبحث الثاني: العلم وأولوياته.

المبحث الثالث: العمل الصالح.

المبحث الرابـع: العمل في المنزل وتربية الأبناء.

المبحث الخامس: استغلال الوقت بما يرضي الله.

الأولويات في حياة المرأة المسلمة

يقول أحد كبار علماء النفس: إن المؤسسات الزوجية الناجحة هي التي تقوم على نظام الأولويات المدروس دراسة وافية.

وهكذا، وبعد وضوح الهدف في ذهن المرأة، في أن تكون مسلمة متميزة عابدة لربها، قائمة بواجباتها.

عليها أن تجيد التخطيط، ومن ثم تحسن التنفيذ، فلا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، وتراعي ما استطاعت الأولويات في حياتها...

ولا مانع من تفويض بعض المهام للخادمة إن وجدت، أو لأحد أفراد الأسرة الذين يحسنون تلك المهام، لتتفرغ هي للقيام بالمهام الأخرى..

فتكون جادة ومصلحة، تترك أثراً طيباً فيمن حولها...

ليست إمعة تقلد الأخريات، ولا هامشية ترضى لنفسها بالتفاهة تسير على هدى وبصيرة..

وإلا فمن تريد أن تعمل كيت وكيت ولا ترتب أولوياتها، ولا تخطط لحياتها، فإن مثلها في السذاجة مثل طفل في دكان الألعاب يمسك بهذا ويمسك بهذا... ثم في النهاية يخرج من المحل ويده فارغة من الدمى كلها!

وعليها دائماً أن تتمسك بالثوابت والفرائض الدينية والبعد عن المحرمات. فإن ما كان من حقوق الله تعالى فلا خيرة فيه.

وفيما يأتي سوف نلقي الضوء على هذه الأمور حسب أهميتها وترتيبها في سلم الأولويات:

المبحث الأول
العقيدة أولاً..

إن المبدأ قوة تشحننا لتعديل تشحننا لتعديل الموروثات، والتأثير في الحياة.. وتشعرنا بالطمأنينة وراحة البال.

هذا ما يقرره التربويون عامة، فماذا عنا نحن المسلمين؟!

إننا لو تلمسنا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لوجدنا أن مهمته كانت في مكة تنحصر في تثبيت العقيدة وذلك لمدة ثلاث عشرة سنة.

ولما بعث معاذاً إلى اليمن، قال له فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما: **«إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عزوجل. فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم. فإذا فعلوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم...**

فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتولّ كرائم أموالهم».[1]

إذن فلنبدأ بالعقيدة أولاً. نسعى إلى تثبيتها في النفوس، وتخليص التوحيد من شوائب الشرك...

وإذا صلحت العقيدة، فالمجال رحب لصلاح ما عداها.

وقد قال الله تعالى: **﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش، ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾**.[2]

---

١) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

٢) سورة الأنعام، الآية ١٥١.

(إنها تنقية الضمير من أو أوشاب الشرك، وتنقية العقل من أوشاب الخرافة، وتنقية المجتمع من تقاليد الجاهلية، وتنقية الحياة من عبودية العباد للعباد...

إن الشرك في كل صورة هو المحرم الأول، لأنه يجر إلى كل محرم، وهو المنكر الأول الذي يجب حشد الإنكار كله له، حتى يعترف الناس أن لا إله إلا الله...

إن الله قبل أن يوصي الناس أي وصية أوصاهم ألا يشركوا به شيئاً... إنها القاعدة التي يرتبط على أساسها الفرد بالله على بصيرة. وترتبط بها الجماعة بالمعيار الثابت الذي ترجع إليه في كافة الروابط وبالقيم الأساسية التي تحكم الحياة البشرية.

فلا تظل نهباً لريح الشهوات والنزوات واصطلاحات البشر التي تتراوح مع الشهوات والنزوات).(١)

- ويدخل في مسمى الإيمان: وَجَل القلوب من ذكر الله، وخشوعها عند سماع ذكره وكتابه، وزيادة الإيمان بذلك، وتحقيق التوكل على الله عزوجل، وخوف الله سراً وعلناً، والرضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً... وإيثار محبة الله ورسوله على محبة ما سواهما والحب في الله والبغض في الله، والعطاء له والمنع له. وأن تكون جميع الحركات والسكنات وسماحة النفوس بالطاعة المالية والبدنية والاستبشار بعمل الحسنات والفرح بها، والمساءة بعمل السيئات والحزن عليها. وإيثار المؤمنين.

وكثرة الحياء وحسن الخلق، ومحبة ما يحبه لنفسه لإخوانه المؤمنين. ومواساة المؤمنين خصوصاً الجيران. ومعاضدة المؤمنين ومناصرتهم، والحزن بما يحزنهم).(٢)

---

١) في ظلال القرآن، ٢/١٢٣٠ لسيد قطب، رحمه الله.

٢) جوامع العلوم والحكم، ٣٠-٣١ لابن رجب الحنبلي.

● إن من يرسخ الإيمان بالله تعالى في قلبه، فإنه يضمن زاداً يوصله إلى النجاة بإذن الله، ألا وهو: التقوى التي تفيء بالقلوب إلى السبيل القويم.

فمن ثمرة التقوى: رؤية الحق حقاً ورؤية الباطل باطلاً.

فقد قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾**.[1]

وهكذا، فتقوى الله تجعل المؤمنة مطيعة لله، فلا تعصيه، تشكره ولا تكفره.

أما إذا غلبها الهوى مرة، أو داهمتها الغفلة فحجبت عنها الحقيقة، فإنها تعود إلى رشدها، وتستغفر الله منيبة إليه راجعة إلى هديه الجليل. قال الله عز وجل: **﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾** وتتذكر قبل أن يتسع الخرق على الراقع وتندم ولات ساعة الندم. **ويبقى ميزانها الحساس للتقى والصلاح: مراقبة الله في السر والعلن. وتقوى القلوب قبل تقوى الجوارح.**

فالتقوى والعمل الصالح هو الميزان. **وله الأولوية القصوى عند المؤمن.**

فقد جاء في الحديث الصحيح فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

ثم إن تقوى الله ثلاثة مراتب كما ذكر ابن القيم رحمه الله.[2]

إحداها: حمية القلب والجوارح عن الآثام والمحرمات.

والثانية: حميتها عن المكروهات.

والثالثة: الحمية عن الفضول، وما لا يعني.

فالأولى: تعطي العبد حياته، والثانية تفيد صحته وقوته، والثالثة، تكسبه

---

١) الآية ٢٩، من سورة الأنفال.

٢) الفوائد: ٣٢، لابن القيم، نشر مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

سروره وفرحته).(1)

فإذا وضح ذلك ووضع في الحسبان، استطاعت المسلمة أن ترتب أولوياتها لتكون من التقيات ذوات القلوب الراضية المنشرحة ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

● ● ●

أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله:

المسلمة التقية تحاسب نفسها، وتراقب الله تعالى حتى في عواطفها. وتتعبد الله في ذلك. ذلك أن (حقيقة التوحيد أن لا يحب المرء إلا لله. يحب ما يحبه الله، فلا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله.

قال الله تعالى: ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله**﴾.

والفرق ثابت بين الحب لله والحب مع الله. فأهل التوحيد والإخلاص يحبون غير الله لله. والمشركون يحبون غير الله مع الله. كحب المشركين لآلهتهم، وحب النصارى للمسيح، وحب أهل الأهواء رؤوسهم).(2)

أما المبالغة في الحب سواء حب الزوج أو الولد أو غيره... والذي قد تبذل له بعض الجاهلات من عقيدتهن وإيمانهن. فذلك قد يوصل إلى الشرك.

والمؤمنة الصادقة تجعل من الشرع الميزان الدقيق، وتجعل هواها تبعاً للشارع الحكيم، وهيهات هيهات أن ترض بالدونية، وتترك ما هو الأولى ﴿**والذين آمنوا**

---

1) الفوائد، ٣٢.

2) الفتاوى، ١٠/٤٦٥.

أشد حباً لله﴾.[1]، كيف والبعض قد تبذل من إيمانها حرصاً على محبة زوجها لها، تذهب للعرافين فتخسر الدنيا والآخرة لأن: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة».[2]

- نحب الرسول صلى الله عليه وسلم القائل: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**» متفق عليه.

ونؤمن أنه عبد الله ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. نحبه محبة تدعونا إلى طاعته كما قال الله تعالى:

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾.

- **إن محبة الله تقتضي إيثار محاب الله على محاب العبد. فيحب الصالحين** ويحرص على مجالستهم.

ورحم الله الحسن البصري إذ قال: إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا. فإن أهلنا يذكروننا بالدنيا، وإخواننا يذكروننا بالآخرة و«**لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله**».

• • •

- والمؤمنة **كما تكره الكفر فإنها تكره أهله وأهل البدع وتكره مصاحبتهم**. فإن من لم ينكر الشرك ويعادي أهله فليس بمؤمن. فلتنظر من تدعي حب الله تعالى، ما الذي تركته من محاب نفسها لأجل الله. فذلك من أولويات المؤمنة.

- كما **أنها تتحفظ في مصاحبة من تعمل المنكر، ولا توادها**، ولا تخالطها إلا لدلالتها على المعروف - إن استطاعت - حتى وإن كانت من القريبات لها.

---

1) البقرة، الآية ١٦٥.

2) رواه مسلم وأحمد، ينظر صحيح الجامع الصغير، ١٠٣١/٢.

ولتذكر ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس. ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس»**.[1]

وهكذا... توازن بين العقل والعاطفة. فتعمل ما يرضي ربها، ولو على حساب رغباتها، وتجاهد نفسها ليصبح هواها تبعاً لما جاء به الشرع.

مما يهذب نفسها فتصبح طيعة لأوامر الله. ويجنبها المشاكل التي تسببها صحبة غير المؤمنين الأتقياء من محارمها، والمؤمنات ذوات الخلق والدين. فالمخالة إذا كانت على غير مصلحة الاثنين كانت عاقبتها عداوة كما قال ابن تيمية رحمه الله.

وقال طاووس: ما اجتمع رجلان على غير ذات الله إلا تفرقا عن تقال).[2]

• • •

- والله تعالى رحيم لم يكلفنا ما يجهدنا، ودعاؤنا أبداً ﴿**ربنا لا تكلفنا ما لا طاقة لنا به**﴾...

أما أن تكون المرأة هائمة بلا غاية، تعمل ولا تدري لماذا؟

تقلد الأخريات ليس إلا، فما ذلك إلا الخلل في التصور!

فإذا كان غيري في تفاهة... فلن أكون مثلها، أنصحها وإلا تركتها وشأنها...

فلنحزم الأمر... ونتوكل على الله.

فليس أقل من أن أعرف ماذا أريد ولماذا أريده؟! وما غايتي في الحياة؟ وسمو غايتنا يتطلب منا الكثير... فلنعمل دون كلل ولا ملل...

ولنتوكل على الله، ولنأخذ بالأسباب، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

1) أخرجه الترمذي وصحح الألباني، ينظر صحيح الجامع الصغير، ١٠٥٢/٢.

2) الفتاوى، ١٢٨/١٥ لابن تيمية.

المبحث الثاني
العلم وأولوياته..

إنه صدقة الأنبياء وورثتهم. ففي الأثر نعمة العطية ونعمة الهدية الكلمة من الخير يسمعها الرجل ثم يهديها إلى أخ له.(1)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة.

وعن سفيان الثوري والشافعي (رحمهما الله): ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم.(2)

فالاشتغال بالعلم لله **أفضل من نوافل العبادات البدنية من صلاة وصيام** وتسبيح ودعاء ونحو ذلك. لأن **نفع العلم يعم** صاحبه والناس. والنوافل البدنية مقصورة على صاحبها. ولأن **نفع العلم مصحح لغيره** من العبادات، فهي تفتقر إليه وتتوقف عليه، ولا يتوقف هو عليها. ولأن العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والتسليم، وليس ذلك للمتعبدين. ولأن طاعة العالم واجبة على غيره فيه. ولأن **العلم يبقى أثره بعد موت صاحبه**، وغيره من النوافل تنقطع بموت صاحبها.

ولأن في بقاء **العلم إحياء الشريعة** وحفظ معالم الملة.(3)

وكان يقال: إذا التقى الرجل بالرجل فوقه في العلم فهو يوم غنيمة. وإذا لقي من هو مثله، دارسه وتعلم منه. وإذا لقي من هو دونه تواضع له وعلمه.

والمدارس ليست الوسيلة الوحيدة للتعلم في الإسلام. فيحرم منه من حرم المدارس... فأمهات المؤمنين وسلفنا من الصالحات ما تخرجن من مدرسة ولا جامعة، ولكن ما قصر ذلك عن أن ينهلن من ينابيع العلوم والمعرفة...

---

(1) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ٢١٢/١٤.

(٢-٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ٣٦-٣٧، لابن جماعة الكناني، تحقيق السيد محمد هاشم الندوي، ط٢، ١٤١٦هـ، نشر الرمادي، الدمام، والمؤتمن، الرياض.

أما حالنا في كثير من بلاد والإسلام فإنه يدعو للأسى والأسف. فالجهل يضرب أطنابه حتى في أمور الدين فضلاً عن العلوم الدنيوية!

• لكن أي علم ندعو المرأة إلى طلبه؟!

أهو العلم الشرعي والاقتصار عليه؟!

أم الاقتصار على العلم العصري المتمثل بالشهادات والدرجات العلمية المختلفة؟!

والصحيح أن المقصود أي علم يؤهل المرأة لمواجهة تحديات العصر المختلفة. فتتسلح بألوان الثقافة مما يهمها كمسلمة تهتم بأمر المسلمين...

- تهتم بالثقافة التربوية، مما يعينها على رعاية أبنائها -ولا سيما للأم المبتدئة- وإلا فشلت في حل مشكلاتها الأسرية والتربوية.
- تتزود من العلم فيما يهم مهنتها إن كانت معلمة أو طبيبة... فضلاً عن مهمتها كمسلمة داعية تشبع تطلعات من تخالطهن. لأنها لن تستطيع التأثير فيهن إلا إذا وجدن فيها ضالتهن المنشودة، لتملأ الفراغ الروحي والفكري الذي في نفوسهن، وتجيب عن تساؤلاتهن، وتنفعهن في أمور الدين والدنيا...

وإذا علمنا ما تعمله قوى الشر حيث تقف مجتمعة لمجابهة هذا الدين وأهله، وراقبنا عن كثب تفننها في وسائل مقاومته، وابتكارها الطريقة تلو الطريقة لتبقى الأجيال -شباباً وشابات- في معزل عن مفاهيم دينهم، أو لتشويه صورته الناصعة في أعينهم...

أدركنا أن نشاط أعدائنا لحربنا لا يعطينا مبرراً إلى الركود والسلبية كما هو شأن البعض. فالهجمة الشرسة لا تصدها الانهزامية).[1]

---

١) مجالات المرأة الدعوية، ص٥٦، تأليف: خولة درويش، نشر دار المحمدي، جدة، ط١.

ورضي الله عن الإمام أحمد إذ قال: الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب، لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه.

وعن الشافعي رضي الله عنه قال: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة. ومضى على ذلك أبوحنيفة رضي الله عنه.

وقال ابن وهب: كنت بين يدي مالك رضي الله عنه، فوضعت ألواحي وقمت أصلي فقال:

«ما الذي قمت إليه بأفضل مما قمت عنه».(١)

هذه آراء أئمتنا الأعلام، فعلام نهمل جانب تعليمنا ونركن إلى الدعة والخمول؟! إن علينا أن نكون على مستوى المسؤولية. فأعداؤنا يتربصون بنا وقد تركنا أولوياتنا!

فهذا مؤسس شبكة (سي.إن.إن) الإخبارية الأمريكية (تيد ترنر) قرر أكثر من (١,٥) مليون دولار لتمويل مشروع لتربية الطالبات في موريتانيا. والمشروع يهدف إلى الحيلولة دون عزوفهن عن الدراسة ووضع حد لتسربهن في مرحلة التعليم الثانوي).(٢)

فلماذا نفسح المجال لهم كي يستفيدوا من تقصيرنا لسد ثغرة طالما دخلوا منها، واستغلوها شر استغلال لضرب حصوننا من داخلها؟!

ولا زالت أساليبهم الماكرة تستغل العلم... ولا زالت دعواتهم للانفتاح والتسيب باسم (العلم الذي يفهمونه) تلاحق المسلمات في كل مكان!!

---

١) تهذيب مدارج السالكين ٤٨٥، كتبه الإمام ابن القيم رحمه الله، وهذبه عبدالمنعم صالح العزي، نشر دار السوادي، جدة، ط١، ١٤١٢هـ.

٢) الاتحاد، العدد ١٤٢٢/٣/٢٩هـ.

- والعلوم المحمودة قسمان:

الأول: محمود إلى أقصى غاياته وكلما كثر كان أحسن وأفضل، وهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا.

والثاني: العلوم التي لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص وهي من فروض الكفايات.

والتقي من يشتغل بما يصلح نفسه قبل غيره، ويشتغل بإصلاح باطنه وتطهيره من الصفات الذميمة قبل إصلاح الظاهر. ومن ثم يشتغل بفروض الكفايات... وإلا فإن مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه. ومثله مثل من دخلت العقارب تحت ثيابه وهو يذب الذباب عن غيره).[1]

- (نوال) نالت من العلم الدنيوي درجة لا بأس بها. فكانت طبيبة بارعة في مهنتها، تقول إنها تعمل ذلك ابتغاء الأجر عند الله تعالى. أما في واقع الأمر فكانت لا تتورع عن زيارة الأضرحة تقرباً لها! تتمسح بقبور «الأولياء» وتتوسل بهم، وتظن أن ذلك يرفع درجتها ويعلي منزلتها عند الله!

أو ليس أول واجباتها تنقية عقيدتها من الشرك لتكون حركاتها وسكناتها لله وحده لا شريك له؟!

فأي علم أفادت وهي لم تتعلم ما تحفظ به دينها وإيمانها؟!

وحسبنا القرآن شفاء، وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم ضياء **﴿يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾**.[2]

فأعلى الهمم في **طلب العلم طلب علم الكتاب والسنة**، والفهم عن الله

---

١) مختصر منهاج القاصدين، ص٢٠.

٢) سورة المائدة، الآية ١٦.

ورسوله نفس المراد، وعلم حدود المنزل. وأخس همم طلاب العلم من قصر همته على تتبع شواذ المسائل ما لم يتنزل ولا هو واقع، أو كات همته معرفة الاختلاف وتتبع أقوال الناس، وليس له همة إلى معرفة الصحيح منها، وقل أن ينتفع واحد من هؤلاء بعلمه).[1]

فطالب العلم يبتدئ أولاً بكتاب الله العزيز فيتقنه حفظاً، ويجتهد على إتقان غيره... فإنه **أصل العلوم وأمها وأهمها...**

ولا يشتغل بعلم عن دراسة القرآن وتعهده، وملازمة ورده منه في كل يوم أو أيام أو جمعة. وليحذر من نسيانه بعد حفظه. فقد ورد فيه أحاديث تزجر عنه).[2]

تقرأ المسلمة الصالحة القرآن الكريم بتدبر وتفهم، مما يبعث على الطمأنينة فلا تزال معاني القرآن الكريم تنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتحذره وتخوفه بوعيده من العذاب الوبيل، وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل،وتصده عن اقتحام طرق البدع والأضاليل. وتبعثه على الازدياد من النعم بشكر ربه الجليل. وتبصره بحدود الحلال والحرام وتوقفه عليها لئلا يتعداها فيقع في العناء الطويل. وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق والتحويل. وتسهل عليه الأمور الصعاب والعقبات الشاقة غاية التسهيل. وتناديه كلما فترت عزماته وونى في سيره: تقدم الركب وفاتك الدليل.

فاللحاق اللحاق، والرحيل الرحيل. وتحدو به وتسير أمامه سير العليل. وكلما خرج عليه كمين من كمائن العدى أو قاطع من قطاع الطريق نادته: الحذر الحذر!! فاعتصم بالله واستعن به، وقل حسبي الله ونعم الوكيل.

---

١) الفوائد ٦١.

٢) تذكرة السامع والمتكلم ١٦٨ لابن جماعة الكناني.

وفي تأويل القرآن وتدبره وتفهمه أضعاف أضعاف ما ذكرنا من الحكم والفوائد.[1]

وهكذا لا يكون الحفظ على حساب الفهم، **فالأولوية للفهم لأن ذلك سبيل للعمل والاستجابة**. ويكون همنا مع الحفظ الفهم والتدبر، لا الاستكثار فحسب، وإلا كان كالنخالة كثيرة وعديمة الفائدة.

ولما للمشاركة من أثر فعال، ولما للجماعة من تحفيز لأفرادها. فإنه يحسن الانتماء لحلقات تحفيظ القرآن.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده**».[2]

وفي ذلك الجمع المبارك تلاقي الدارسة من التشجيع للحفظ والفهم، مع المراجعة الدائمة لما تم حفظه حتى تجيده تماماً وتتقنه ولا تنساه بإذن الله.

فذلك كله مما يساعد على الحفظ وعلى المداومة والاستمرارية. ولا ننسى الإخلاص لله تعالى وحسن النية في طلب العلم:

(فالعلم عبادة من العبادات وقربة من القربات، فإن خلصت فيه النية قبل وزكا ونمت بركته. وإن قصد به غير وجه الله تعالى حبط وضاع وخسرت صفقته. وربما تفوت طالب العلم تلك المقاصد ولا ينالها، فيخيب قصده ويضيع سعيه).[3]

وبحسن النية، ينشرح الصدر، وتعلو الدرجات، هذا إذا قُصد بالعلم الله والدار الآخرة. أما إذا كان الباعث عليه الحرص على التزين في المجالس، والذكر

---

١) تهذيب مدارج السالكين، ص ١١٤.

٢) أخرجه الإمام أحمد ومسلم، ينظر صحيح الجامع الصغير، ٢/١٢٨١.

٣) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ١١٤.

يأنه عالم. فذلك أول من تسجر به النار يوم القيامة.

كما أنه على المتعلم أن يكون ذا همة عالية في طلب العلم فلا يكتفي بقليل العلم مع إمكان كثيرة. ولا يقنع من ميراث الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بيسيره، ولا يؤخر تحصيل فائدة تمكن منها أو يشغله الأمل والتسويف عنها. فإن للتأخير آفات، ولأنه إذا حصلها في الزمن الحاضر حصل في الزمن الثاني غيرها.

ويغتنم وقت فراغه ونشاطه، وزمن عافيته وشرخ شبابه، ونباهة خاطره، وقلة شواغله، مثل عوارض البطالة أو موانع الرئاسة.(١)

وبالجد والصبر والمصابرة على طلب العلم يحصل المقصود بإذن الله.

فالشيخ الألباني رحمه الله: تحول من عامل لإصلاح الساعات إلى محدث للعالم الإسلامي، تستفيد من علمه أجيال وأجيال.

وأحمد ديدات: كان يعمل صبياً عند بقال، وتحول إلى واحد من أشهر مناظري القرن العشرين ودعاته. وذلك حينما تعلم وصبر على العلم، يحدوه الإخلاص لله تعالى والشعور بالحاجة للمناظرة لأن حانوته كان على مقربة من جامعة اللاهوت الكاثوليكية.

والمرأة العاقلة تتعلم من أي مصدر مشروع ومتاح، تتعلم من الكتب، من الأشرطة السمعية أو البصرية لمن لا تعرف القراءة، من الكمبيوتر ... بل نتعلم من خطئنا وصوابنا فلا نعاود الخطأ ثانية...

أما إن اختلط التعليم بالحرام فسد الذرائع أولى: كأن تكون مشاهدة القنوات الفضائية إحدى وسائل التعلم، إلا أن السلوكيات المنحرفة والمجون الذي قد يتخلل البرامج يجعل المصلحة الراجحة تكمن في ترك مشاهدتها سداً للذرائع.

---

١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم: ص١٩٠.

فعند طلب العلم يجب البعد عن أسباب الغواية بشتى صورها، لتعيش المسلمة حياة طهر ونبلاً وسمواً، وصدق الله العظيم: ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً**﴾.

- **تعلم الأهم فالمهم لأمور ديننا ودنيانا:**

وإذا تعددت الدروس قدم الأشرف فالأشرف والأهم فالأهم: فيقدم تفسير القرآن ثم الحديث ثم أصول الدين ثم أصول الفقه ثم المذهب ثم الخلاف أو النحو أو الجدل...[1]

فيجب شغل الفكر بما ينفع من العلوم، وما يلزم من التوحيد وحقوقه وما يكون زاداً لما بعد الموت، وما يؤدي إلى دخول الجنة والبعد عن النار، والتعرف إلى آفات الأعمال وطرق التحرز منها...

قال شقيق بن إبراهيم: أغلق باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء: اشتغالهم بالنعمة عن شكرها، ورغبتهم في العلم وتركهم العمل.

والمسارعة إلى الذنب وتأخير التوبة، والاغترار بصحبة الصالحين، وترك الاقتداء بفعالهم، وإدبار الدنيا وهم يتبعونها، وإقبال الآخرة عليهم وهم معرضون عنها.[2]

أما ما نجده اليوم-وفي المجتمع النسائي خاصة- أن حاملة الشهادة العليا وقد تزين اسمها بحرف (د) ومع ذلك قد نجدها -للأسف- ربما تجهل أبسط أمور الفقه التي تهمها كمسلمة تحرص على صحة عبادتها...

قد تجهل أمور الطهارة، وفقه العبادات، وما يهم المرأة من العدة وما فيها من أحكام...

---

١) تذكرة السامع والمتعلم، ٧١.

٢) الفوائد/ ١٧٧، تأليف شمس الدين ابن قيم الجوزية، نشر مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

وهنالك أمثلة كثيرة حول هذا التقصير:

(س) شابة أنهت الدراسة الثانوية، وجدت أنه لا بد لها من الاستفادة من وقتها... وهذا أمر حسن، لكن ماذا فعلت؟ لقد سجلت في دورة لتعلم المكياج وأصول التجميل!

أين منها تعلم أمور دينها والتفقه فيها؟!

علام تبحث عما لا يضرها جهله، وتترك ما يجب عليها علمه؟!

أما إنها لو طبقت الأولويات في حياتها لسعت إلى التفقه في الدين أولاً، ومن ثم توازن بين طلب العلم والعبادات والتطوعية. ومن ثم تلجأ إلى التحسينات...

و(ع) كانت طالبة تسهر الليالي للدراسة والحفظ الجيد، وذلك لنيل الشهادة العلمية. وإن بقي فضلة من الوقت في الإجازة الصيفية، قضته في تعلم اللغة الأجنبية... وهي التي تجهل واجبات الصلاة، بل لا تعرف أركان الإيمان!

أو ليست تلك المعرفة أولى من الشهادة العلمية؟!

- أما إن كانت المرأة ذات صفة مهنية مثلاً كأن كانت طبيبة،معلمة، خياطة... فواجبها أن تتعلم ما يخصها في مهنتها وتنمي ثقافتها في ذلك... **لا بد لها من تعزيز قدراتها المهنية لتعمل بكفاءة أكثر واقتدار أفضل** كما أن من المحتم أن تعرف الأحكام الشرعية التي تلزمها...

وتتبحر في ذلك -بالشروط المشروعة (من عدم الاختلاط والخلوة...)- فقد يكون ذلك في حقها من فروض العين، وهو أولى من التبحر في فروض الكفاية...

وذلك حتى لا نبقى عالة على غيرنا لا سيما في الطب النسوي، حتى لا نكاد نجد إلا الندرة من الطبيبات المتدينات.

ورحم الله الإمام الشافعي إذ قال: لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب، إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه!

فـلا يصح أن تـدفن الكفـاءات تحت ركـام الكسل. ولا أن تعـيش المسلمـة بسذاجة فكر وسطـحية معلومات. بل يجب أن تنمى المـواهب وتوجه الطاقات. فتـبحث المرأة عن العلم النافع المفـيد، ولا تذهـب العمـر في أمور لا فـائدة منها أو يتعذر أن تتقنها:

فلا تكون الأزياء وتقليعات الموضة هي أولوياتها كشأن بعض النسوة لئلا تزل إلى حضيض التقليد.

وماذا عساه أن يفيدها متابعـة آخر صيحات «الرجيم» لتنزل بضع غرامات من وزنها الذي أثقله الترهل والترف؟!

وماذا ينفعها لو تعلمت الغرائب والعجائب في القديم أو الحديث؟!

هلا انتفـعت بذكائها ونـباهتهـا فتعلمت مـا به تذب عن السنة وتوضح العلم الشرعي وذلك بتعلـيم غيرها العلوم النافعة وزادها في ذلك إنما هـو العلم والتعمق فيه فالجاهل لا يصلح أن يكون معلماً.

وبهـذا العلم الواعي نتـمكـن من «فلتـرة» مـا يأتينا من مـعلومـات من الشـرق الملحد أو الغرب الكافر. فلا يتحكم أعداؤنا في ثقافتنا، وبوعينا الرشيد نرد عليهم ترهاتهم وأباطيلهم.

فالصالحة دائماً عالمة ومتعلمة، ولها في نساء السلف قدوة صالحة:

عن أم المؤمنين «عـائشة» رضي الله عنهـا قالت: نعم النسـاء نساء الأنصـار لم يمنعهن الحياء من التفقه في الدين» متفق عليه.

● وليس من الأولويات تقديم مصالح الدنيا على ما نقدمه للآخرة:

فلا يصح اعـتبار مـصلحة دنيوية تخل بمصـالح الآخرة. فمـعلوم أن ما يخل بمصالح الآخرة غير موافق لمقصود الشارع ، فكان باطلاً.[1]

---

١) الموافقات للإمام الشاطبي، ١/٣٨٧.

فلو أرادت امرأة تكملة علومها، ونيل درجات علمية دون إذن وليها، أو أرادت الامتناع عن الزواج لتكملة العلم، لأنها ترى أن فيه مشغلة بسبب الانغماس في أعباء الحياة الأسرية، فذلك غير جائز. لأن الزواج سنة المرسلين. وديننا ينهى عن الرهبانية. ولو أرادت العلم -ولو كان ذلك هو العلم الديني- وكان على حساب سترها أو الخلوة مع السائق أو السفر دون محرم، فلا يحل لها ذلك. لا يحل لها أن تعيش باسم العلم في أجواء الضياع والمهانة والتهور.

فالتعليم إذا لم يقترن بالإيمان فإنه يكون شراً على صاحبته ولن يجلب لها إلا الكبر والغرور ومن ثم الفشل.

لأن آفة العلم عدم مطابقته لمراد الله الديني الذي يحبه الله ويرضاه. وذلك يكون من فساد العلم تارة ومن فساد الإرادة تارة أخرى.

ففساده من جهة العلم، أن يعتقد أنه يقربه إلى الله وإن لم يكن مشروعاً وأما فساده من جهة القصد فأن لا يقصد به وجه الله والدار الآخرة بل يقصد به الدنيا والخلق.

وهاتان الآفتان في العلم والعمل لا سبيل إلى السلامة منهما إلا بمعرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في باب العلم والمعرفة، وإرادة وجه الله والدار الآخرة في باب القصد والإرادة).(١)

• الأولويات في طريقة التعلم:

لقد تنبه الإمام الشاطبي رحمه الله إلى القواعد الأساسية لطرق التعليم التي يتبعها الناس في أيامنا هذه. وأول ما يبدأ من ذلك أن يضع هذه القاعدة: **البدء بالبسيط من المعرفة قبل المركب** فيقول:

---

١) الفوائد لابن القيم، رحمه الله، ٨٥.

ولا يذكر للمبتدئ من خط المنتهي من العلم. بل يُربى الصغار بصغار العلم قبل كباره، ثم ينتقل إلى قاعدة أخرى هي ما نسميه بقاعدة البدء **بالسهل قبل الصعب**. وهي مكملة للقاعدة السابقة. ويقول فيها: لا يعلم الغرائب إلا بعد إحكام الأصول.

وينبه إلى أن مخالفة هذه القاعدة تؤدي بالمتعلم إلى النفور من العلم أو إلى الوقوع في الخطأ بسبب سوء الفهم.

والواقع أن الظن يتجه بكثير من رجال التربية اليوم، إلى أن هاتين القاعدتين من إنتاج الفكر التربوي المعاصر، لولا هذه النصوص التي تثبت أنها من تراث الإسلام).[1]

وهكذا، فالمرأة التي نريد:

تنمي ثقافتها في الأمور الدينية، وتتفقه ولا سيما في الأمور التي تخص الأسرة، ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، على أن لا يكون ذلك على حساب العقيدة.

وتجتهد لمعرفة الأمور الحياتية التي تفيدها كأم لتربية أولادها، أو كزوجة للتعامل مع الزوج وأهله، أو تعلم الفنون المنزلية وذلك لزيادة كفاءة ربة المنزل، والارتقاء بالحياة الأسرية.

ولتعزيز قدراتها المهنية - إن كانت ذات مهنة - وذلك في حدود الشرع الحنيف وعدم تجاوزها.

وبتعليم المرأة، مربية الأجيال:

نكون قد مشينا خطوة إلى تقدم المسلمين ليعودوا أساتذة للبشرية لا تلامذة. وأن يصبحوا سادة وقادة لا عالة، وبناة مجد، وصانعي حضارة لا مستهلكي مخلفات الحضارة!

---

١) الشاطبي ومقاصد الشريعة، ٢٥٧.

المبحث الثالث
العمل الصالح

العبادة والعمل **الصالح هو التطبيق الفعلي للعلم النافع**. فكل علم يراد للعمل به، ولا قيمة له دون العمل.

وقد مثل الغزالي،[1] رحمه الله، لمن يتعلم العلم ولا يعمل به، كمثل المريض الذي به علة لا يزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها إلا حذاق الأطباء...

وسعى في طلب الطبيب، ولما عثر عليه وعلمه كيفية الدواء، كتب منه نسخة حسنة، بخط حسن، ورجع إلى بيته وهو يكررها، ويعلمها المرضى... ولم يشتغل بشربها واستعمالها...

أفترى يغني ذلك عنه من مرضه شيئاً؟! هيهات هيهات!».[1] ولو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله تعالى أحبار أهل الكتاب بقوله عزوجل: ﴿**مثل الذين حملوا التوارة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً**﴾.

وقد قال الحسن البصري، رحمه الله: أنزل القرآن ليعمل به، فاتخذ الناس تلاوته عملاً، يعني أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به).[2]

ومن علامات السعادة والفلاح: أن العبد كلما زيد في علمه زيد في تواضعه ورحمته، وكلما زيد في عمله زيد في خوفه وحذره وكلما نقص في عمره نقص من حرصه. وكلما زيد في ماله زيد في سخائه ونبله، وكلما زيد في قدره وجاهه زيد في قربه من الناس وقضاء حوائجهم).[3]

---

١) إحياء علوم الدين، ٦٠١/٣.

٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي، ١٣٠.

٣) الفوائد/ ١٥٥.

شروط قبول العمل الصالح:

ليست العبرة في العمل الذي يظهر على الجوارح من الأقوال والأعمال الصالحة -على جلالها- فالمنافقون يظهرون بجوارحهم الأعمال الصالحة، وعقابهم أنهم في الدرك الأسفل من النار لما في قلوبهم من الأمراض.

- **فلا بد من إخلاص النية لله في أعمالنا كلها..**

أما العمل ولو كان ظاهره صالحاً، إذا كان للهرب من المشاكل مثلاً، أو بعد الفشل من الحياة، ليحصل على السلوى في عمله، فذلك ليس العمل المقصود شرعاً.

ومن تكرم الضيوف وتفعل ذلك لا قياماً بواجبها الشرعي في إكرام الضيف، وإنما تفعله للمظهر، وحتى لا يبدو التقصير من أهل البيت فهي قد تكون مأزورة لا مأجورة رغم ظاهر عملها.

- **ومن ثم المداومة على العمل الصالح لا أن نعمل** لفترة وجيزة ثم نترك. فلقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟! قال: «**أدومه وإن قل**».(١)
- قال الإمام النووي رحمه الله: في الحديث الحث على المداومة على العمل وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع. وإنما كان القليل الدائم خيراً من الكثير المنقطع، لأنه بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص، والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة).(٢)

فالصالحة لا تتوقف عن إتمام عمل صالح بدأت به: كأن تبدأ بحفظ كتاب الله تعالى أو بقراءة كتاب فقهي مثلاً - أو قيام الليل، أو أداء سنة الضحى، أو

١) رواه الإمام مسلم عن عائشة رضي الله عنها في كتاب صلاة المسافر (باب فضيلة العمل الدائم).

٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووي، ٧/٧١.

الدعوة إلى الله عزوجل...

لا تتشاغل عنها، ولا تتعلل بالأعذار لتتهرب من الأعمال الصالحة بل تداوم عليها.

● **ولا بد من اتقان العمل:**

فالنوعية الجيدة مطلوبة حتى في أمور العبادات، ولا تقل أهميتها عن الكمية. فلا بد من الاهتمام بجودة العمل.

وقد جاء في الحديث الشريف: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».[1]

● **كما أنه يجب التقيد بالنص الشرعي في كل أعمالنا وعباداتنا:**

عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها. وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها»**.[2]

وعن سفيان قال: (لا يقبل قول إلا بعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة).

وعن أبي بن كعب وغيره: (اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة).[3]

وما ذاك إلا محافظة على أمة الإسلام حتى لا يتفرق أبناؤها شيعاً وأحزاباً، ومحافظة على التحام المجموعة صفاً واحداً.

والبدعة كما ذكر الإمام الشاطبي هي: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، ويقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه.[4]

---

١) رواه البيهقي عن عائشة وقال الألباني حديث حسن، ينظر صحيح الجامع الصغير، ١/٣٨٣.

٢) حديث حسن رواه الدارقطني وغيره، ينظر جامع العلوم والحكم، ٢٧٥.

٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية رحمه الله، ١٠/٢٩٣.

٤) الاعتصام، ١/٥٠ للشاطبي.

فالخوارج قد غلوا في العبادات بلا فقه فآل الأمر بهم إلى البدع فقال الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم: «**يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية. أينما وجدتموهم فاقتلوهم. فإن في قتلهم أجراً عندالله لمن قتلهم يوم القيامة. فإنهم قد استحلوا دماء المسلمين وكفروا من خالفهم**».[1]

ومما يحسن التنويه إليه: أن العادات والمعاملات لا تدخلها البدعة إلا من حيث التعبد وقصد التقرب...

مثال ذلك: إن ترك أكل اللحم.. فعل عادي جائز ولكنه يكون بدعة إذا ظن التارك له أن تركه قربة يحبها الله ورسوله.

وكذلك ترك النكاح فعل عادي، ولكنه يكون بدعة إذا قصد تاركه بالترك التعبد والتقرب لله سبحانه وتعالى.

وكذلك لبس الصوف مثلاً فعل عادي جائز، ولكنه يكون بدعة إذا قصد به صاحبه التقرب إلى الله والتعبد له بذلك).[2]

● ● ●

● آثار الطاعة والعمل الصالح:

- **إنها تزكي القلب وتجلو صدأه**: خلافاً للمعصية، فإنها تترك في القلب قساوة. ولقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة، فإذا هو استغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون. كلا إنهم عن ربهم لمحجوبون. ثم إنهم لصالوا الجحيم﴾**».[3]

---

١) مجموع الفتاوى، ٣٩٢/١٠.

٢) قواعد الوسائل، ٤٣٦.

٣) ينظر مدارج السالكين، ٣٢٧/١ لابن القيم.

- **ومن ذلك أن نتائج العمل تكون إيجابية:** فالطاعة تعين على الطاعة. ولقد قال تعالى ﴿**فاستبقوا الخيرات**﴾. والتسابق للخير يجعل العمل الصالح همنا، ولا يشغلنا عنه شاغل. وتصبح الحياة أكثر ثراء، وأجل فائدة وبهاء. والعمل والنشاط يدفع إلى الاستمرارية فيه على خلاف الكسل والاسترخاء والتسويف..
- **ومن نتائج العمل الإيجابية: الراحة النفسية** التي يحصلها العاملون وتخطئ من تظن أن الرفاه والراحة هي الهدف من الحياة وأنها مجلبة للسعادة.

فكم من المتقاعدين رغم سعة الحالة المادية، وكونهم دون عمل يذكر، لكنهم يعيشون بكآبة وتعاسة.

أما من ابتدأ منهم بالعمل الجاد والعطاء، فتغير حاله حين استثمر ملكاته، وقدم ما في وسعه. فشعر بالسعادة، وانبسطت أساريره بعد الكدر!

فلتجرب المرأة التي يضيق صدرها من الأولاد ومن شغبهم... فإن تعليمهم، أو عمل حلوى لهم أو حتى اللعب أو النزهة معهم... فإنها تساعد على الترويح واستعادة نشاطها وتحقيق الرضى النفسي لها.

- (ف) كانت تشكو وقد تزوج أولادها وخرجوا من بيتها، أنها لا تجد عملاً ذا بال لتعمله، فهي في تبرم وشكوى دائمين من الفراغ والضجر!

فلماذا يا أختاه؟!

إن أمتك بحاجة إليك. فلا بد لكل منا من دور إيجابي فاعل. أما وأن الله سبحانه وتعالى قد قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فالواجب أن تنظر كل منا إلى مزاياها فتنميها، ولا تضن بها فينتفع بها من حولها، ويستفيد من مواهبها، حين تقوم بالأعمال الهامة والممكنة... بعيداً عن احتقار الذات والشعور بالصغار. لأن ذلك مما يثبط العمل ويقعد بالهمم.

• ما أفضل العبادات؟!

العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى منها ما كان محبوباً لله ورسوله، مرضياً لله ورسوله. وهي إما واجب وإما مستحب كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما يروي عن ربه تبارك تعالى: **«ما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي. ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه»**.[1]

ولا عذر للمرء في التواني عن الفرائض. فالبدار البدار... والعمل قبل فوات الأوان...

والطاعة كما ذكر الإمام الشاطبي -رحمه الله- إذا كانت تحقق مصلحة كبرى فهي ركن، وإن كانت تحقق مصلحة جزئية فهي نافلة.[2]

ولقد تعرض ابن القيم رحمه الله لمختلف الآراء في أفضل العبادات، والراجح رأي طائفة: رأوا أن أنفع العبادات **وأفضلها ما كان فيه نفع متعد، فرأوه أفضل من ذوي النفع القاصر.**

ورأوا خدمة الفقراء، والاشتغال بمصالح الناس، وقضاء حوائجهم، ومساعدتهم بالمال والجاه والنفع أفضل، فتصدروا له، وعملوا عليه واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: **«الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله»**. رواه أبويعلى.

---

[1] ينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية، ١٠/٣٨٩.

[2] الموافقات ٢/٣٠٠.

واحتجوا بأن عمل العابد قاصر على نفسه، وعمل النفاع متعد إلى الغير. وأين أحدهما من الآخر؟!

ولهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب...

واحتجوا أن صاحب العبادة إذا مات انقطع عمله، وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذي سعى إليه مستمراً بعده.

ولا يعني كون المسلمة امرأة، أن تصبح خاملة لا عاملة... اعتقاداً من فهم البعض الخاطئ لقوله تعالى: ﴿**وقرن في بيوتكن...**﴾ أن تلزم المرأة بيتها فلا تخرج منه أبداً!

بل إن المقصود أن الأصل هو القرار في البيت، والخروج هو حالة استثنائية، لكنها غير ممنوعة، على أن لا تخل بشروط الحجاب.

ولقد ظلت المرأة المسلمة تقوم بدورها المنوط بها كما يمليه عليها دينها خلال العصور السالفة...

تنشر العلم ليزكو، لأن زكاة العلم نشره، وتساهم في الدعوة إلى الله: فتلك أم شُرَيْك القرشية العامرية، بعدما أسلمت جعلت تدخل على نساء قريش سراً فتدعوهن وترغبهن في الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة. فأخذوها وقالوا لها: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكنا سنردك إليهم...

قالت: فحملوني على بعير ليس تحتي شيء موطأ ولا غيره، ثم تركوني ثلاثاً لا يطعموني ولا يسقوني).(١)

أما وإن الموازين قد اختلت، فأضحى غض الطرف عن الفساد يعتبر من المكارم التي يمدح بها المقصرون. وأضحى البعض يذمون الدعاة الناصحين والداعيات الناصحات تحت دعاوى كثيرة من اتهامهم بالفضول إلى غير ذلك...

---

١) الإصابة، ج٤، ص٤٤٦ لابن حجر.

فما ذاك إلا للبعد عن فهم هذا الدين.

فلقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على نشر العلم والدعوة إلى الله بقوله:

«نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه».(١)

ألا ليتنا أمعنا النظر كيف ساد الألى؟!

لقد سادوا بالعقيدة أولاً ومن ثم بالعمل الصالح والدعوة إلى الله.

فلا يحل للمؤمنة أن تسكت سكوت من في القبور في مجال يجب عليها الصدع بالحق. وحري بها أن تستفيد من الإمكانيات المتاحة في عصر العولمة الدخيلة لتساهم بإزالة اللبس عن صورة الإسلام الصافية التي يريد الأعداء تشويهها.

إننا إذا قلنا العمل، لا يعني ذلك العمل الوظيفي الراتب، اللهم إلا إذا كان ذلك العمل من فروض العين، أي مما لا يستغنى عنه كالتطبيب للنساء أو الخياطة لهن أو تعليمهن (مثلاً).

وإلا فإن تعارضت الواجبات فلا بد من الأولويات:

فقد يكون على الأسرة من الأعباء المالية ما يحتم على المرأة أن تستعمل مهارتها، وتعمل لتزيد من موارد الأسرة، ولتساهم في تلبية حاجاتها الأساسية. وذلك أجر ساقه الله للمرأة، على أن لا يشغلها ذلك عن أمرٍ أمر الله به، ولا يعرضها لمحظور شرعي من اختلاط ونحو ذلك - أو إخلال بالواجبات الأسرية...

ولا شك أن النافع لغيره أكثر فضلاً من القائم بنفل العبادات، كالذاكر

---

١) أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح، ينظر شرح السنة، ١/٢٣٦.

بالأوراد مثلاً.

* فلو فرضنا أن امرأة عاملة وبالشروط الشرعية تعمل وتكسب لتعول أمها الأرملة وإخوتها الأيتام...

هل يقال لها: الزمي بيتك، وتفرغي لأعمال المنزل وهي التي لا يضر عملها بمسؤولياتها الأسرية؟! ولا يعيقها عن حياة الطهر والعفاف؟!

وفي العمل إغناء لها عن حاجة الناس. ولا تبقى أسرتها عالة على الآخرين. فهنا إن لم يجب عليها العمل، فهو على الأقل يستحب، فذلك أولى من السؤال، واليد العليا خير من اليد السفلى.

فالواجب عند الموازنة والاختيار لمعرفة الأولى في أداء الواجبات: تقديم أعظمها مصلحة وأكثرها نفعاً.

وإذا تراكمت الواجبات لا تنهزم وتتركها مهملة لها، مولية وجهها شطر اللهو الفارغ... ولكنها بتخطيط جاد ومرن في آن واحد، بتخطيط يساعدها، ولا يكون قيوداً تكبلها وتحرمها من القيام بالواجب الأهم. وبذلك تصل إلى ما يريده الدين منها.

لابد لنا من بصيرة نافذة ونفس للخير فاعلة. تضع كل أمر في موضعه الشرعي:

- أما (آمال) فكانت وللأسف تتوانى عن الصلاة المفروضة.. لقد دخلها الشيطان من حرصها على أسرتها. فمنذ زواجها بدأت تؤخر الصلاة، وتمني نفسها قائلة: لا مانع، سأنتظر قليلاً ثم أصلي.. تقدم حق الزوج.. ومن ثم حق الولد.. وهكذا تؤخر الصلاة عن وقتها..
- وهنالك وفي شهر الصيام، من تنام عن الصلاة المفروضة... أما إذا كانت صلاة التراويح فإنها تنشط لأدائها. وتتأهب مع صاحباتها لها!!
- وأخرى تهمل صلاة الفريضة وتفرح بصلاة الضحى فتحسن قيامها وتتم

خشوعـها... إنها تترك عماد الديـن وتقوم بالنوافل. فمثلها مـثل من يبني قصراً ويهدم مصراً!

- وامرأة تهتم بالمواعيـد وتحرص على الوفاء بها. أما الصلاة فتسـوفها، وقد تؤدي صلاة العـصر في وقت التفريط والذي تكـون الشمس فيه بين قـرني الشيطان، مع أن مـوعـد الصلاة آكـد من المواعـيـد الأخـرى على أهمـية الوفـاء بالوعـد. فإخلاف الوعد دون مبرر من صفات المنافقين.

وقد قال تعالى في ذم من يضيع الصلاة:

﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾.(1)

ومن صـفات المنافـقين كـمـا ذكرها جل شـأنه: **﴿لا يأتون الصـلاة إلا وهم كسالى﴾**.(2)

ولقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أفضل الأعـمال أداء ما افترضه الله تعالى، والورع فيما حرم الله تعالى، وصدق النية فيما عند الله تعالى.

وعـليـه :

فمن الأولويات:

- **أداء الصلاة على الوجه الذي يرضي الله تعالى**: فالصلاة عماد الدين ولا يجوز للمكلف تركها إلا لعذر شرعي. ولا عذر في الجهل بها.

وهي كـالإيمان لا تدخلها النيـابة بحـال. فلا يصلي أحـد عن أحد الفـرض لا لعذر ولا لغير عذر. كما لا يؤمن أحـد عن أحد. ولا تسقط بحال كما لا يسقط

---

1) الآية ٥٩، سورة مريم.

2) من الآية: ٥٤، سورة التوبة.

3) مختصر منهاج القاصدين، ٣٦١.

الإيمان، بل عليه الصلاة ما دام عقله حاضراً وهو متمكن من فعل بعض أفعالها). [٤]

إنها صلة بالله سبحانه وتعالى فلا تكون مع الغفلة.

وهي مناجاة لله عزوجل، فلا تكون بغير خشوع وحضور قلب.

وهي حركة جسم متطهر إلى جانب روح متطلعة لرضى الرحمن ومناجاته.
وقد قال عنها الصادق الأمين: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**».

فمن الأولويات في هذه العبادة الهامة والدعامة الرئيسية من دعامات الإسلام، من الأولويات: إزالة كل ما يشغل عن الخشوع.

فقد قال نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام لأمنا عائشة رضي الله عنها فيما رواه أنس: «كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **أميطي عني قرامك هذا، فإنه لا تزال تصاويره تعرض في صلاتي**». [١]

- ولتمام الخشوع على المرأة المسلمة كالرجل أن تبتعد عن الشواغل الدنيوية التي قد تلهي عن الصلاة.

فلقد روى الإمام مسلم بسنده عن عائشة، رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان**».

وما ذاك إلا ليقبل المصلي على صلاته وهو يتذكر الآخرة، ويحسن الصلة بربه بعيداً عن الدنيا وهواجسها وخواطرها.

وعليه، فإذا بكى الصغير، وحان وقت الصلاة، فالأولى تلبية حاجة الصغير ثم الإقبال على الصلاة ما لم يخف فواتها.

---

٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ١٠/٤٤٠.

١) رواه الإمام البخاري في كتاب الصلاة رقم الحديث ٣٧٤، والقرام: هو ستر رقيق من صوف ذو ألوان. ومعنى أميطي: أزيلي، ينظر فتح الباري، ١/٥٧٨.

ولقد قال أبوالدرداء رضي الله عنه: «من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته فيقضيها، ثم يقبل على صلاته وقلبه فارغ».

● **ومن الأولويات: أن تستشعر أذكار الصلاة وأفعالها وأقوالها**: ولتذكر جيداً حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «**صلِّ صلاة مودع**» فما يدرينا، فلعل تلك الصلاة آخر صلواتنا؟!

وإذا صلت المرأة متفهمة لما تتلوه من القرآن الكريم، شاعرة أنها بين يدي الله، شعرت براحة نفسية لا تضاهيها راحة.

قال الحسن البصري رحمه الله: (تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة -الذكر- تلاوة القرآن. فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق).

ورحم الله ابن القيم حيث قال[1]: (إن للعبد بين يدي الله موقفين: موقف بين يديه في الصلاة. وموقف بين يديه يوم لقائه. فمن قام بحق الموقف الأول، هون عليه الموقف الآخر. ﴿**ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً. إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً**﴾.[2]

وفي الأثر: إن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحداً، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.

حتى الصلوات فإنها تتفاوت في الأفضلية:

قال تعالى: ﴿**إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً**﴾.[3] ذلك لأنه كما قال مجاهد: مغالبة هتاف النوم وجاذبية الفراش بعد كد النهار، أشد وطئاً وأجهد للبدن. ولكنها إعلان لسيطرة الروح، واستجابة لدعوة الله، وإيثار للأنس به.

---

١) الفوائد لابن القيم، ص٢٠٠.

٢) الآية: ٢٧ من سورة الإنسان.

٣) المزمل، الآية ٩.

ومن ثم فإنها أقوم قيلاً. لأن للذكر فيها حلاوته، وللصلاة فيها خشوعها، وللمناجاة فيها شفافيتها. وإنها لتسكب في القلب أنساً وراحة وشفافية ونوراً، قد لا يجدها في صلاة النهار وذكره).[1]

ولقد كره الإمام مالك إحياء الليل كله وقال:

لعله يصبح مغلوباً، وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة. ثم قال: لا بأس به ما لم يضر ذلك بصلاة الصبح. فإن كان يأتيه الصبح وهو نائم فلا. وإن كان وهو به فتور أو كسل فلا بأس به.

فإذا ظهرت علة النهي عن الإيغال في العمل، وأنه يسبب التعطيل لوظائف، كما أنه يسبب الكسل والترك ويبغض العبادة، فإذا وجدت العلة أو كانت متوقعة نُهي عن ذلك).[2]

● ● ●

والمرأة الصالحة تجعل الأولوية لما يفضل غيره في الثواب، رغبة فيما عندالله تعالى من الأجر:

قيل لابن مسعود رضي الله عنه: إنك لتقل الصوم! فقال «إنه يشغلني عن قراءة القرآن. وقراءة القرآن أحب إلي منه... ونحو هذا حكى عياض عن ابن وهب أنه آلى أن لا يصوم عرفة أبداً. لأنه كان في الموقف يوماً صائماً وكان شديد الحر. فاشتد عليه، فكان الناس ينتظرون الرحمة وأنا أنتظر الإفطار).[3]

١) في ظلال القرآن، م٦/٣٧٤٥.

٢-٣) الموافقات ٩٨/٢ الموافقات في أصول الأحكام للحافظ أبي إسحاق الشاطبي نشر دار الفكر للطباعة والنشر.

● **وفي أفضلية الحج تطوعاً أو عدمها:** الأرجح إن كان ثم رحم محتاجة، أو في زمن مجاعة، فالصدقة أفضل، وإلا فالحج. وهو رأي الإمام أحمد وغيره).[1]

فلو أن امرأة حجت الفريضة وتريد الحج تطوعاً...

إنها وإن كانت ذات مال، لكن زوجها كان فقيراً وبحاجة إلى ما يسد رمق أولاده. فإن لم تساعدهم يحتاجون إلى الغير لضيق ذات اليد، فأيهما أولى حج التطوع أم الإنفاق على العيال؟!

وحج التطوع أم الإنفاق لمساعدة ابنها الشاب على الزواج وإعفاف نفسه؟! إن أولى واجبات المرأة أن تتعهد أهل بيتها وتحسن إليهم.

أما (منى) فكانت تصر على حج ذلك العام... وإمكانيات زوجها المادية لا تحتمل أكثر من حج شخص واحد، لا تحتمل إلا حج أمه. والزوجة الغريرة أصابت مقتلاً من حياتها الزوجية عندما بدأت تجادل بأولويتها للحج!

أما إنها لو حكمت الشرع، فالأولى حج الأم.

● **والصدقة تتفاوت أيضاً في الأجر والأفضلية:**

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله. ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله**».

قال أبوقلابة: «وبدأ بالعيال» ثم قال أبوقلابة: «وأي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال صغار يعفهم أو ينفعهم الله به ويغنيهم عنه».[2]

وهذا ما يؤكده حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه

---

١) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي، ص٢٦٩.

٢) أخرجه مسلم في باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم الأهل ثم الأقارب.

قال: «**ابدأ بنفسك فتصدق عليها. فإن فضل شيء فلأهلك. فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك. فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا**».(١)

فيجب أن نعيش واقعاً لا خيالاً، نراعي أحوالنا المادية والاجتماعية ونحسن إلى أهل بيوتنا، فذلك مما يزيد المودة والإلفة، وهو من المعاشرة بالمعروف التي دعا لها الدين.

ثم إن الصدقة على الأقارب فيها أجر الصدقة وأجر الصلة:

عن زينب امرأة عبدالله (رضي الله عنهما) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن**، قالت: فرجعت إلى عبدالله فقلت:

- إنك رجل خفيف ذات اليد. وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا بالصدقة. فأته فاسأله، فإن كان ذلك يجزئ عني وإلا صرفتها إلى غيركم. فقال لي عبدالله: بلَ ائتيه أنت.

قالت: فانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله وحاجتي حاجتها...

وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لهما أجران: أجر القرابة، وأجر الصلة**».(٢)

«معلمة» كانت ذات راتب شهري ورصيد من الوفر لا بأس به... أما زوجها فكان لضيق ذات اليد يطالبها بالمشاركة في نفقات البيت أو على الأقل دفع قسط البيت الذي يرغبان في تملكه...

لكن الزوجة، وبكل جفاء وغلظة، كانت تمانع محتجة بحريتها في التصرف

---

١) أخرجه النسائي وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير، ١/٦٨.

٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على الأقربين والزوج والأولاد.

بمالها... تلك الحرية التي حفظها لها الشرع!

وتجد راحتها في زيادة رصيدها، والمبالغة في الإنفاق على ما فيه رفاهيتها هي فقط.

إن مما يذيب القلب، التطلعات الأرضية الهابطة عند البعض والتي تعصف بكيان البيوت بسبب الهاجس المادي المسيطر.

وهذه سيدة معروفة في المجتمع بالكرم والسخاء. لأن ذلك شأنها مع صاحباتها وقريباتها.

لكن ما إن تسمع عن مجيء أحد من أقارب زوجها إلا وتخبئ الغالي من الأدوات والتحف المنزلية...

حتى الطعام لا تظهر أحسنه كشأنها مع صويحباتها... وذلك كله حتى لا تشاركها أخت زوجها أو أمه فيه! فأين هي من قصة أصحاب الجنة. قال الله تعالى: ﴿**إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون. فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم**﴾.[1]

هلا اقتدت بالصالحات من سلفنا:

عن طلحة بن يحيى عن جدته سعدى قالت: دخلت يوماً على طلحة (الصحابي) رضي الله عنه، فرأيت منه فعلاً فقلت له: مالك لعلك رابك منا شيء فنعتبك قال: لا، ولنعم حليلة المرء المسلم أنت. ولكن اجتمع عندي مال ولا أدري كيف أصنع به. قالت: ما يغمك منه؟!

ادع قومك فاقسمه بينهم فقال: يا غلام عليَّ بقومي.

فسألت الخازن كم قسم؟ قال: أربعمائة ألف».[2]

---

١) سورة القلم، الآيات ١٧-٢٠.

٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد.

وعندما أعتقت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها وليدة لها فقال لها عليه الصلاة والسلام: **لو وصلت بعض أخوالك كان أعظم لأجرك**).[1]

- **بل إن الصدقة نفسها تتفاوت في الأجر**: وذلك حسب الطريقة التي تؤدى بها، قال الله تعالى: ﴿**قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى**﴾ البقرة، ٢٦٣.

فالصدقة التي يتبعها الأذى لا ضرورة لها، وأولى منها كلمة طيبة وشعور سمح.

كلمة طيبة تضمد جراح القلوب وتفعمها بالرضى والبشاشة، ومغفرة تغسل أحقاد النفوس، وتحل محلها الإخاء والصداقة...

والصدقة ليست تفضلاً من المانح على الآخذ، وإنما هي قرض لله. والله غني حليم. غني عن الصدقة المؤذية، حليم يعطي عباده الرزق فلا يشكرون، فلا يعجلهم بالعقاب، ولا يبادرهم بالإيذاء).[2]

وكذلك الصدقة إذا كانت غير خالصة لوجه الله...

فلو أن امرأة كانت تكره الصدقة في السر، وتتصدق في المحافل العامة رياء وحباً في الذكر الحسن. فعملها أصبح معصية، حيث تركت طاعة آكد ألا وهي الإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له. **لقد خاب سعيها لما تركت الأهم والأولى.**

عجباً لمن تغرق نفسها في النعيم الزائل، أما إذا فتح باب النعيم المقيم تعللت بالأسباب الواهية. وقالت: لا أقدر، هذا جهدي، لقد تغير الزمان... الخ.

---

١) أخرجه البخاري، كتاب الهبة، باب بمن يبدأ الهدية، رقم الحديث: ٢٥٩٤.

٢) في ظلال القرآن، ١/٣٠٨.

شتان بين «رشا» التي كانت تنفق ثلث راتبها لشراء ملابس وأدوات تجميل... وبين «عائشة» التي كانت تتبرع كل سنة براتب شهر لصالح مدارس تحفيظ القرآن الكريم.

فإذا أردنا أن ننصر ديننا، وننهض بصحوتنا، ونعمر حضارتنا: فلنعبد ربنا كما شرع ولا نشتغل بالتوافه، ولا نستبدل الذي أدنى بالذي هو خير..

هذا ويؤخذ بالحسبان عند توزيع الأولويات: شهر رمضان والمواسم الدينية مثل العشر من شهر ذي الحجة وغيره، والأعياد والواجبات الاجتماعية، ونراعي الأحوال في كل ذلك. فهنالك عبادات لها أفضلية حسب الوقت، وحتى في دعائنا فإنه تتفاضل الدعوات:

فقد قال ابن القيم رحمه الله: (يصرف بعضهم همته وتوكله ودعاؤه إلى وجع يمكن مداواته بأدنى شيء، أو جوع يمكن زواله بنصف رغيف، أو نصف درهم. ويدع صرفه إلى نصرة الدين، وقمع المبتدعين، وزيادة الإيمان ومصالح المسلمين).[1]

نراعي عند الملمات والنائبات التي تصيب المسلمين أن يكون دعاؤنا لنصرتهم وتفريج كربتهم من أولوياتنا في الدعاء.

ونتعمد الدعاء في ساعات الإجابة: فلقد جاء فيما أخبرنا به النبي عليه الصلاة والسلام: **«إن في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا آتاه إياه وذلك كل ليلة»**.[2]

١) تهذب المدارج، ٣٤٣.

٢) رواه مسلم.

المبحث الرابع
العمل في المنزل وتربية الأبناء

الأم لها مهمة لا يقدر عليها غيرها، وتتناسب مع فطرتها.

فهي تمد الأمم بوقود الحروب، ودعاة السلام، وبناة الحضارة...

إنها المنجبة والمربية، وهي المرشدة والناصحة حيث تمنح أبناءها من وقتها، وتغذيهم بمحبة الله وطاعته، وتعد أولادها ليكونوا من أرباب العقيدة السليمة، والهمم العالية، والفضائل الجمة.

وتبذل كل ما في وسعها لتبعد أسرتها عن المكدرات التي تقلقها وتحرمها من راحة النفس وصفاء السريرة.

وإلا فالأسرة الممزقة لن تكون عوناً لأحد - لا المرأة ولا غيرها - لمراعاة الأولويات.

إن الأمومة رسالة المرأة الأساسية وهي من أوائل مهام المرأة:

فالإسلام يدعو إلى تكثير الذرية. فقد جاء رجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني أحببت امرأة ذات حسب ومنصب ومال إلا أنها لا تلد، أفأتزوجها؟! فنهاه، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة فقال:

«تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم».(١)

أما وقد عمت البلوى مجتمعاتنا وامتلأت بدعايات ماكرة: منها قولهم: إن أسرة صغيرة تعني حياة أفضل...

فذلك يجافي الحقيقة..

---

١) رواه أبوداوود والنسائي والحاكم.

لماذا لا تقول إن الوافدين الجدد من النسل الإسلامي -إن شاء الله- ستكون لديهم العقول العبقرية التي تبتكر الخير لدفع غائلة الجوع، وحياة الفقر ونكد العيش الذي يعانيه المعاصرون؟!

ففي ألمانيا مثلاً[1]: كان عدد السكان فيها سنة ١٨٨٠م (٤٥) مليوناً وكانوا في تلك الأيام يعانون معيشة ضنكاً، وضائقة مالية شديدة حتى كان آلاف منهم يهاجرون إلى الخارج بين كل عام وآخر.

ولكن لما بلغ عددهم ٦٨ مليوناً بعد ٣٤ سنة، فبدل أن تصاب ألمانيا في وضعها الاقتصادي، تضاعفت وسائلها للمعيشة، ومواردها للرزق عدة مئات من المرات على نسبة زيادة سكانها. حتى اضطرت إلى طلب العمال من الخارج لتسيير حياتها الاقتصادية.

فقد بلغ عدد العمال الأجانب في ألمانيا ٨٠٠ ألف، سنة ١٩٠٠م وحوالي مليون و٣٠٠ ألف سنة ١٩١٠م).[2]

وعندنا وللأسف من الدعايات المغرضة والموجهة للمرأة على وجه الخصوص وذلك لتحديد النسل، يمنونها بتفاهات قد تغري البعض ويقولون: لأجل جمالك - رشاقتك - صحتك... عليك بتحديد النسل. والواقع يحكي خلاف ذلك:

فكم من امرأة نحيلة القوام، وبالحمل ازدادت صحة وجمالاً. والمرأة التقية توازن بين مصلحتها وواجبها، وما كان الجمال هدفاً لمن هدفها الجنة!

ثم إن منع الحمل لا يباح إلا لتحصيل مصلحة أو دفع مشقة، والضابط في ذلك نسبة المصلحة والمفسدة.

والشرع هو الفيصل، وتطبيقه هو الذي سيجلب الرضى والسعادة لأسرنا.

---

١) حركة تحديد النسل للمودودي، ١٥٢.

٢) الغارة على الأسرة المسلمة، ٤٨.

ثم إن مشاعر الأمومة فطرية في كل امرأة. فقد شاء الله لإحدى «الصالحات» أن لا ترزق بأطفال، فأشغلت نفسها بما ينفعها ويفيد غيرها؛ ربّت ابنة أختها، وقد أرضعتها امرأة أخ زوجها، لتصبح محرمة بالرضاع على زوجها...

لقد مارست أمومتها بطريقة مشروعة وتناسبها، ولا تضر غيرها.

• • •

• **ومن الأولويات للأسرة مع وجود الأولاد خاصة أن لا تتمسك بالتنفيذ الحرفي لما خططت له، ولتترك مساحة من المرونة كافية للتعامل** مع ما يجد من أمور الحياة. فالوقت قد يشغل بمطالبهم الطارئة، من مرض أو مذاكرة للامتحان... وإلا فمن سيحيط الأطفال بالرعاية؟!

لقد كانت (إحداهن) تشعر دائماً أنها غارقة حتى أذنيها في الأعمال، تركض دون جدوى... ولا وقت للراحة لديها، لكن لماذا؟!

إنها تريد أن تكون سيدة مجتمع، وأخذ ذلك جل اهتمامها، فأصبحت ترهق نفسها لأجل تطلعات واهية.

وإزاء مسؤولياتها الاجتماعية، والتي كانت تظهر في زياراتها الكثيرة. واتصالاتها المكثفة، فضلاً عن مسؤولياتها الأسرية، أضحت سريعة الغضب وكثيرة الشكوى، عاملت أولادها بصلف ليكون الود والمجاملة لخارج المنزل! وطالما اشتكت أن طفلها الصغير قد منعها من الراحة وحرمها من متعة الحياة.

وصار الزوج يقلق من انشغالها عنه!

أعادت النظر في أسلوب حياتها وفي تطلعاتها، وأعانها ترتيب أولوياتها لتحافظ على كيان أسرتها، ولا تخسر مكانتها الاجتماعية وتحرص على صحتها:

بدأت في كل أعمالها تسأل نفسها: ما الغاية من العمل؛ ولماذا أقوم به؛ وهل

أستطيع أن أعمل ما هو أفضل منه؟!

وجدت أن الصدق والصراحة يحلان الكثير من المشاكل، فتعلمت الاعتذار الصادق حتى عن بعض المكالمات، بأن لديها ارتباطاً أسرياً، أو أنها تريد الإشراف على دراسة أولادها... أو تريد العناية بطفلها الصغير.

فتحسن الوضع، وعادت الأمور إلى نصابها، عندما عملت بقول الرسول صلى الله عليه وسلم «فأعط كل ذي حق حقه».

يا سبحان الله! من يعتني بالرضيع إن قصرت أمه عنه؟! ومن يغنيه عن عواطفها وفيض حنانها؟!

مع الأخذ بالاعتبار أن لا **تدع حبها لأولادها يطغى على اهتمامها بزوجها** وتقديرها له، وقيامها بسائر واجباها. وفي كل ذلك لا بد من الصبر والاحتساب.

فإذا كان المزارع يصبر ويعمل ويحرث الأرض ليحصد قمحاً، فهلا عملنا لأجل أبنائنا، هلا صبرنا وتحملنا لتربية الأجيال المؤمنة؟!

وإلا، إذا تهربت المرأة من المسؤولية، وجعلت الاهتمام بأولادها أمراً هامشياً، فإن الفجوة بين الآباء والأبناء سوف تزيد بتجاهل حقوقهم. **فالعلاقات الحميمة بينهم لن تأتي من فراغ**... لن تحصل بين أم وأبناء لا تتواصل معهم.. لن تحصل وهي تتشاغل عنهم وتتركهم يتضاغون ولا من مجيب... حتى إذا كبر الصغار وكبرت معهم مشكلاتهم، بدأت تستنجد بأولي الرأي لمعالجة المثالب التي جمعتها النشأة الخاطئة:

وما أود التنبيه به، أن الأم ليست وحدها المسؤولة عن التربية، لا بد من التعاون بين الزوجين.. فقد يقوم الأب بمتابعة دروس أبنائه الكبار.. لتتفرغ الأم لطفلها الصغير وهكذا...

لا بد من التعاون، فالتربية مسؤولية الجميع.

- و«سامية» تسلل إلى سمعها بكاء ابنتها الشابة الخافت الحزين.. وبعد تكرار ذلك منها، استفسرت أمها عن سبب ذلك فما كانت تجد منها أكثر من الصمت والوجوم! فلجأت إلى صديقة ابنتها لعلها تعرف الحقيقة..

وبدورها سألت الصديقة الفتاة لتبوح بمكنونات نفسها... ردت بمرارة: اسألي أمي، هل لها أولاد غير سامي؟!

سامي كم يسيء إلي، ويناديني وأنا أخته الكبرى: يا غبية!

وهي تضحك له! هل لأنه ذكر، وما ذنبي أنا؟ أو ليس الله تعالى القائل: **﴿يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً﴾**.(1)

إن الأم راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، واجبها اليقظة للنهوض بأبنائها، وتعديل سلوكياتهم، تقوّم حتى كلماتهم لتزكو نفوسهم.

ومما يحكى أن إحدى العابدات قالت لابنتها وقد رأتها في أحد الأيام فرحة مزهوة، قالت لها: «لا تفرحي بفانٍ ولا تجزعي من ذاهب، وافرحي بالله تعالى واجزعي من سقوطك من عينه». وبمثل هذا الحس المرهف التقي نلاحظ أبناءنا ونوجههم، كما **ونتابعهم لأداء الصلاة في أوقاتها**، ولا نتشاغل عن تلك المهمة فهي أولى الواجبات في التربية، وقد قال تعالى: **﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾** أما واقعنا المؤسف فنجد فيه أن كثيراً من الأمهات، فضلاً عن الآباء إذا جاءهم الولد وقد قصر في دروسه فإنهم يشبعونه لوماً وتعنيفاً. أما إذا قصر في صلاته. هل يكون لوالدته نفس الموقف؟

هلا تمعر وجهها غضباً لحرمات الله؟!

وابنتها المراهقة ألا تلاحظها عند الخروج من المنزل، أهي محتشمة أم لا؟

---

1) الآية ٤٩، من سورة الشورى.

وأين ستذهب؟! لئلا تغفل عن ذلك فتبيض الفتنة وتفرخ مستغلة إهمال الأم لمهمتها.

كما أنَّه من الأولويات الواجب مراعاتها لنجاح العملية التربوية للأم، هي التواصل مع الأبناء وتمتين العلاقة معهم في كل فرصة متاحة. فالتفاعل مهم وضروري للتربية السليمة.

- فالولد المتمرد، من يعدل سلوكه غير أهله وذويه؟! لا أحد. لقد أحست أمه أن أول واجباتها إظهار التعاطف معه وزيادة التواصل بينها وبينه، لا يَنَتْهُ، خففت حدة اللهجة معه... بدأت تتابع مذاكراته وتساعده في واجباته كلما احتاج إلى ذلك... وبين الحين والآخر قد تحكي له قصة وتشاركه ألعابه، وتسأله عن مدرسته وأصحابه. تَحَوَّلَ الأمر إلى صداقة متينة مع أمه. بعد أن كاد الأمر يفلت ويصل إلى المقاطعة بينهما...

وبالتعامل الحسن، والتواصل الحكيم تخلص من عاداته السيئة، فصار الاحترام بعد التمرد، وتعلم النظام والانضباط... صار يرتب أدواته يضع الملابس المتسخة في مكانها... وتحسن سلوكه عموماً. وباختصار أضحى مطيعاً لوالديه، حريصاً على طاعة ربه، مؤدياً للصلاة في أوقاتها. مما أقر الله به عيون ذويه وأثلج صدورهم. وذلك بعد جهد دؤوب، ومتابعة متواصلة من أمه على وجه الخصوص.

إن نتائج التربية لن تظهر بين عشية وضحاها، إنها تحتاج إلى جهد ووقت لذا تختلط على المرأة الأولويات في هذا المجال.

فلنذكر أن الوقت الذي يذهب للتربية ليس سدى إنه وقت مستثمر يتعلم منه الأبناء الكثير. وصدق رسولنا الكريم حيث قال: «**فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**».[1]

---

1) متفق عليه.

فإن وجدت الأم أنماطاً غريبة من سلوك الأبناء، فالسؤال الواجب طرحه ما السبب الذي أدى به لذلك السلوك؟

لعله الانشغال مع الزوج أو في العمل أو في الواجبات الاجتماعية... أو لعله سلوك مقتبس من الجيران أو الخدم... وهذه هي بداية الإصلاح. عندها نعيد النظر في حياتنا، نحذف الأمور الهامشية أو نوكل بها غيرنا. أما الأمور المهمة التي لا يقدر عليها غير الأم. فيجب عملها، ولا تتعلل بالأعذار، وتعطي الأولاد من وقتها بعيداً عن الأثرة وحب الذات.

- هناك معلمة كانت في قمة نجاحها في مهنتها كمعلمة، كانت تهتم بإعداد الدروس، وتذهب أكثر وقتها في تهيئة وسائل الإيضاح... ويومياً كانت تحزم أوراق الطالبات ودفاترهن وتأتي بها للبيت لتصحيحها!

بعد الإنجاب، كثرت المسؤوليات وتشعبت وعندما عملت بالأهم تركت العمل، وتفرغت لبيتها وطفلها، فذلك أدعى لإنجاز دورها كما ينبغي. وإلا فهل يعقل أن تعلم المرأة أولاد الناس وتترك أولادها لتربيهم الخادمة؟!

إن الخدم لن يربوا الأسياد... وطورت قدرتها في مجال التربية فزادت من قراءاتها التربوية، مما زاد في نجاحها، فلم يعد يعوقها عن مهمتها الرئيسية معوقات الوظيفة الرسمية. وبفضل الله أبدعت في تربيتها وفي أدائها الفكري والتربوي...

وبالصبر والاحتساب، والتطلع إلى ما عند الله من الثواب، تطمئن النفوس ويحلو العمل ويبارك الله فيه.

ولن نجد حينئذ من تتبرم أداء رسالتها التربوية.

أما وقد تقلص الدور التربوي للأسرة، وشاركت عوامل عدة في تربية أبنائنا، فواجبنا إعادة النظر في برامجنا التربوية وأولوياتنا فيها.

وأولويات دور المرأة المسلمة في التربية يمكن تلخيصها بما يلي:

١- الاهتمام بالتربيـة الإيمانية لنضمن استقامـة الأجيال -بإذن الله- ومن ثم بناء المؤمن المفكر الذي يميز بين الخير والشر، ولا يكون إمعة مقلداً للآخرين.
٢- عدم التركيز على أداء الشعائر فقط، بل نهتم أيضاً بأعمال القلوب.
٣- ترشيد التعامل مع وسائل الترفيه الحديثة (من كمبيوتر وتلفاز ونحوه....) وذلك بتقليل أوقات التعامل إليها. والاهتمام بالراحة والصحة كما يمليه علينا ديننا.
٤- الترابط الوثيق بين الوالدين والأبناء، ومد جسور الصداقة والمحبة بينهم.
٥- ملاحظة صحبة الأولاد وتوجيه غرائز المراهق خاصة.
٦- الاعتدال والتوازن: في النفقة - في المحافظة على الوقت.

وفي حياتنا المعاصرة صور محيرة تعانيها الكثيرات:

- كانت إحدى المؤمنات حريصة على تنشئة أولادها في ظلال بيئة إسلامية نقية...

سألت مرة: هل تصحب معها أولادها إلى بيت جدتهم علماً أنها (الجدة) تديم فتح جهاز التلفزيون (وفيه من المحذورات الشرعية...).

وهل يزورون أخوالهم وعندهم في بيتهم نفس المحذور؟!

في ظل الأولويات: تعمل أهون الشرين.. إن وجود الجهاز أهون من العقوق وقطيعة الأرحام. وتجعل الأولاد هم الذين يتولون إغلاق الجهاز عند الموسيقى، وعند الصور الفاضحة. وذلك بطريقة مهذبة، يحترمون أقاربهم، ولا يجرحون مشاعرهم أو يسيئون إليهم.

إنه وقت مبارك ذاك الذي تمضيه المرأة في الواجبات الاجتماعية، من صلة الرحم - والبر... فهو ليس وقتاً ضائعاً ولن يذهب سدى...

ففي كل نشاط سليم بركة، وفي كل خبرة حياتية صالحة تقدمها لأخواتها نهوض بينات أمتها، وفي كل مواصلة للمؤمنات زيادة للتراحم والتلاحم والتوادد وتأليف القلوب.

• **إن البيت هو الميدان الأساسي لعطاء المرأة:**

تبذل جهدها لتعم فيه السكينة مما يعين على تحمل متاعب الحياة. والمرأة الصالحة تقوم بواجباتها المنزلية بتفاهم ووئام، مما يزيد من عطاء أفراد الأسرة جميعاً، ويبعث فيهم النشاط وروح التفاؤل والأمل. فالسعيد في أسرته أكثر عطاء في مجتمعه ونجاحاً في عمله. فتحمي المسلمة مملكتها الصغيرة بحسن تنظيمها، دون أن تطغى بعض الواجبات على البعض الآخر. **وتعمل في مهنة المنزل مقتدية** بالزهراء (فاطمة رضي الله عنها، فقد قال علي كرم الله وجهه لأمه: اكفي فاطمة (أي زوجته) الخدمة خارجاً وتكفيك هي العمل في البيت والعجن والخبز والطحن).[1]

فتتعاون مع أم الزوج ولا تتنافس معها. فالزواج وسيلة للسعادة والاستقرار، لا للشقاء والتفريط.

• **تحسن إدارة البيت فيما هو من اختصاصها، وإلا فإن** القوامة في الأسرة (إنما هي للرجل لقوله تعالى: ﴿**الرجال قوامون على النساء**﴾. ولقوله جل شأنه: ﴿**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة**﴾ وهذه الدرجة هي قوامة الأسرة، وهي رئاسة واختصاص ليبعد المرأة عن الشبهات وعن مواطن الزلل، دونما تسلط أو استبداد.

ومما هو من **اختصاص ربة الأسرة: اختيار طعام صحي مناسب لأفراد العائلة** وللحالة المادية دون أن تذهب الوقت بمزاولة مؤن البطن. ألا فلتسمع ساكنات المطابخ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في الصحيحين: «**المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء**».

لأن الكافر يأكل بنهم وشراهة وليس كذلك المؤمن.

---

١) سير أعلام النبلاء، ٢/١٢٥.

وماذا بعد كثرة الأكل غير التخمة داء العصر؟ وغير الشبع المفرط الذي يثقل الجسم، ويبدد النشاط، ثم يدفع للجوء إلى الطبيب لإصلاح ما أفسده النهم؟!

وما كان الاهتمام بالجسم يوماً هو سبب التقدير للشخص والشعور بإنسانيته! ولقد صدق الشاعر إذ قال:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

والصحة إذا كانت لتنفيذ أوامر الله فهي نعمة وإلا فهي نقمة.

والأثاث الفاخر ما كان هو سبب السعادة... فقد يكون في البيت الأدوات المفيدة والفراش الوثير... لكن إن لم تكن هناك امرأة تحسن التدبير، فلن يدار بحكمة، ولن تراعى الأولويات كما ينبغي وهيهات هيهات أن يسعد أفراده!

إن تنسيق المنزل بطريقة مريحة ونافعة سيخفف الجهد والوقت معاً. وإلا فالحياة تصبح مضطربة ومرهقة بسبب سوء التنظيم ذلك لأن جهداً مضاعفاً يجب أن يبذل حتى في الأمور التافهة:

فإن طلب الرجل أداة من أدواته (مثلاً)، فالمأزق لا تحسد المرأة عليه، وهي تبحث عن الأداة هنا وهناك...!

فالمرأة الناجحة تضع كل شيء في موضعه المناسب، وتحسن ابتكار ما يعينها لأداء واجبها بسرعة وإتقان وحسن تدبير. وتنمي مهاراتها المنزلية مستعينة بذوات الخبرة من النسوة الفاضلات، أو قراءة ما يساعدها للقيام بدورها بصورة أفضل.

- ثم إن المرأة العاقلة **تقدر إمكانيات كل من في الأسرة** وتحسن تقديرها، وتتصرف بحسبها. **فتستفيد من مهارات** أفراد الأسرة لتخفف من وطأة العمل عليها، وبنفس الوقت تعودهم تحمل المسؤولية ويشعرون بكيانهم، وفي مساعدتهم لها درس عملي لزرع روح التعاون بين أفراد الأسرة. وذلك من الأهمية بمكان عظيم:

(إن التكنولوجيا يمكن تقليدها، ورأس المال يمكن شراؤه، أما روح التعاون

للعمل فلا يمكن نقلها أو شراؤها)!

إن مناخ الثقة الذي يدفع البيئة إلى الشحن الذاتي والتعبئة من الداخل لا بد أن ينمو من الداخل. وهذا الوضع ينطبق على الأسرة أو أية مجموعة من البشر. فالعلاقة الطيبة والمناخ الجيد لا بد أن ينمو عبر الوقت).(١)

● **وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم خير قدوة للمربين:**

فقد بعث عليه الصلاة والسلام مصعب بن عمير، رضي الله عنه، بعثه من مكة إلى المدينة ليعلم أهلها ويدعوهم إلى الإسلام.

وفي أسرنا تنظر ربة المنزل: فمن يحسن كي الملابس، أو الترتيب أو حتى غسيل الصحون -لا سيما عند عدم وجود الخادمة- فتستفيد من إمكانياته بأن تفوض إليه ما يمكن من المسؤوليات التي يجيدها على أن تتوخى العدل، فلا تثقل عليه دون إخوته... وإلا شعر بأن تميزه عبء يتمنى لو تخلى عنه!!

إن مساعدة الأبناء في عمل «كعك العيد» مثلاً يفرحهم ويدخل البهجة إلى نفوس الجميع. **ويساعد على بناء شعور إيجابي عند الأولاد لتحمل المسؤولية بقدر الطاقة والتعاون مع الآخرين.**

● لقد أرادت إحدى الأمهات الناجحات أن تعمل «الكبة»* وحيث أنها كانت بحاجة ماسة إلى المساعدة... وكان لابنها الأكبر ميولٌ فنية واضحة، أشعرته بأن عمل «الكبة» يماثل العمل الفني في حسن تنسيقه، وأعطته الثقة بأنه لابد سيتقنه. وما عليه إلا أن يجرب.

وبشيء من المرونة قالت له: وما عليك إن لم يكن العمل على ما ينبغي؟!

- فقد استفادت من إمكانياته، وكانت ساعة بهيجة للتواصل وتوطيد العلاقات الودودة، فضلاً عن المساعدة.

---

١) إدارة الأولويات الأهم أولاً ٣٩٢، تأليف ستيفن كوفي، روجر ميريل ريبيكان ميريل، ترجمة السيد المتولي حسن، نشر مكتبة جرير، الرياض، ط١، ١٩٩٩م.

* أكلة شامية.

● كانت (رنا) شابة تمتلئ حيوية ونشاطاً...

وعندما تزوجت سبقتها الخادمة إلى عش الزوجية، لأنها كانت تجد غضاضة في العمل المنزلي.

بدأت (رنا) حياتها عديمة الاكتراث بأمور بيتها عموماً. وكانت أولى اهتماماتها أن تكون سيدة مجتمع يشار إليها بالبنان!

كبرت الأسرة، وقبل فوات الأوان، شعرت (رنا) بمسؤولياتها كأم، ومن واجبها إحسان التربية لأبنائها، وأن تكون قدوة حسنة لهم في العمل والبعد عن الترهل...

شعرت بالمسؤولية كربة أسرة واجبها التوفير لشراء منزل بدل بعثرة المال، والاستدانة من الآخرين، للظهور في المجتمع بالصورة التي رسمها خيالها. شعرت أن هناك أموراً أهم من تلميع البلاط اليومي الذي تقوم به العاملة، فاستغنت عن العاملة. وأوكلت بعض المسؤوليات لأولادها. وبدأت تعيش واقعاً لا خيالاً. فاكتفت بما لديها من الأثاث بدل تغييره الدائم تقليداً للموضة!.

وابتعدت عن الفوضوية، واستفادت من وقت فراغها الضائع فتعلمت بعض الأمور المفيدة، فأصبحت تستطيع إصلاح صنبور الماء المعطوب. أو إيصال أسلاك الكهرباء بحذق ومهارة.

فتوفر الجهد والمال والوقت... وأضحت قدوة صالحة لأبنائها.

(إن تقديم الضروريات على الكماليات دليل حكمة المرأة ورجاحة عقلها. فهو يحفظ للمسلمين ثروتهم، فلا تذهب أموالهم إلى جيوب أعدائهم.

كما أن اختصار الأمور الثانوية يغنيهم عن الحاجة لرؤوس الأموال الأجنبية.

والمال القليل إذا جمع يصنع الكثير).[1]

---

١) ضوابط الإنفاق في البيت المسلم: (١٥١) خولة درويش.

أما الأثرة والكسل وحب التقليد للموضة فإن جعل في أولويات بعض الأمهات لهو نذير فشل لأسرهن.

حيث يورثن بالقدوة استنزاف المال والجهد والوقت فحتام هذا العناء؟!

ولا يصح التبرير وإلقاء اللوم على الآخرين في حال الفشل، وعدم إضفاء السعادة... فذلك إن دلَّ على شيء فإنما يدل على عدم الأمان مع الذات!

إن عمل المرأة في بيتها هو من أولى مهماتها:

وما القول عن طبيبة كانت تهتم بالنظافة والتعقيم في عملها.. أما بيتها فحدث ولا حرج، فهو في غاية القذارة؟! فلماذا؟!

إنه ما لم تبذل المرأة الكثير فلن تكون أسرتها لبنة صالحة في المجتمع. فلتقم كلٌّ بواجبها، ولتحسن الترتيب والنظافة، ولتحسن التصرف في النقود والنفقات عموماً.. فضلاً عن إتقانها للطهي وتخزين الأطعمة بطريقة سليمة كي تحفظها من التلف..

ولا بأس من توظيف التكنولوجيا في خدمة الأسرة. فهناك تقنيات ومنتجات تساعد المرأة وتوفر الجهد عليها، وتجلب الراحة لأفراد الأسرة عموماً. وشراء هذه الأدوات أولى من شراء الحلي وأدوات الزينة. مع ملاحظة أن لا يكون هم الأسرة تكديس الأدوات في البيت.

- إن بعض **المهام من الأولى تأجيلها**.. ولا مناص لربة المنزل من المرونة في عملها. مع ملاحظة تقديم العذر المقبول للتأجيل.

فمن أرادت عمل حلوى في رمضان مثلاً، ثم وجدت أنه من المتعذر إتمامها قبل قدوم الضيوف. فمن الأولى استبدالها بحلوى لها نفس القيمة الغذائية والتكلفة المادية وتُعد بوقت أقل. وتأجيل ما وعدت به الأسرة مع الاعتذار لهم.

كما أنها قد تلغي بعض الأعمال مقابل غيرها... وما ذاك إلا للمرونة التي

تتميز بها المرأة الناضجة.

فلو كان عند إحداهن موعد لحفلة في منزلها، وكانت الأعمال المطلوبة منها: تنظيف الدواليب -والحجرات- مع تزيين (كيكة) لتستعملها في الحفلة -ولديها من المهام الأخرى عمل (مربى) وزيارة طبيب...

تنظر في الأعمال: إن زيارة الطبيب من الأمور العاجلة والمهمة.. وأما تنظيف الدواليب فيؤجل لبعد الحفلة. وتنظيف الحجرات قد يعمل من الصباح أواليوم السابق للحفلة.

ولا بأس في تزيين «الكيكة» والاستفادة من إمكانيات أحد أفراد الأسرة ممن يتقن ذلك.

وعمل المربّى: يؤجل ليوم آخر...

وعند الاستعانة بالأكفاء من أفراد الأسرة، تراقب التنفيذ وتشجع على العمل الجيد بدل أن تقوم وحدها بكل المهام... وبالتعاون تلغي من قاموسها كلمة طالما كررتها المتذمرات:

«ومن في المنزل غيري ليقوم بالأعمال المتراكمة؟!».

- **وإن وجدت مشكلة فإنها تبحث عن حلها** وتنظم أمورها حسب الأولويات:

- فإن وجدت أن المصحف قد وضع جانباً وعلاه الغبارُ... فإن التلاوة اليومية ولو لمدة ربع ساعة هي **الحل الأولى.**
- وإن تكرر تأخر ابنتها المراهقة عن المدرسة: تبحث عن السبب، فقد يكون السهر أمام التلفاز، **فالأولى** عندها تحديد ساعات النظر إليه.
- وإن كثرت مشادات الصغار مع بعضهم. **فالأولى** عدم الانشغال عنهم، ومتابعتهم، واللعب سوياً معهم، وبإيجاز تهيئة الجو الحاني لهم.
- وإن وجدت الدولاب والملابس فيه مبعثرة: **فالحل الأمثل** وضع كل شيء في مكانه في حينه.

- والمطبخ إن كانت تفوح منه رائحة البصل والبطاطا التالفة. فالتفقد الأسبوعي لها هو **الأولى** منعاً للتلف قبل وقوعه.
- وكذلك الثلاجة إن كانت بها الخضر التالفة... فالتفقد اليومي لها ضروري... تفوض هذا وسابقه للخادمة إن وجدت أو لغيرها من أفراد الأسرة.

مع ملاحظة أن يكون التنظيم لراحة الأسرة، لا أن يكون غاية في حد ذاته.

فتنظيم المهام للأولاد، للبنات، للصغار والكبار والخدم...

كل ذلك يساعد على معرفة كل لدوره المناط به. مما يرفع من كفاءة الأفراد، ويبعد عن المشاكل التي تسببها الفوضى.

● ● ●

- **وفي البيت طاعة زوجها من الأولويات وتعينه على الطاعة:**

وواجب المرأة في طاعة الزوج آكد عليها من التطوع بأعمال البر: فقد جاء في الصحيحين أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد ألا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقة من غير أمره فإنه يؤدى إليه شطره**».

قال ابن حجر، رحمه الله، (في الحديث أن حق الزوج آكد على المرأة من التطوع بالخير. لأن حقه واجب. والقيام بالواجب مقدم على القيام بالتطوع).[1]

أما المرأة المتزوجة فطاعة زوجها أوجب عليها من زيارة أمها المريضة إلا أن يأذن لها زوجها).[2]

---

1) ينظر فتح الباري، جـ٩، ص٢٠٧، للإمام الحافظ بن حجر العسقلاني، ط٢، ١٤٠٩هـ، نشر دار الريان للتراث، القاهرة.

2) المغني، ٧/ص٢٠.

والزوج التقي معوان لزوجته على البر بوالديها، كما أنها تعينه بدورها على البر بوالديه ولقد قال تعالى: ﴿**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**﴾. ثم إن البر بالوالدين آكد حتى من الجهاد في سبيل الله، فلقد جاء فيما رواه مسلم بسنده عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، واستأذنه في الجهاد فقال: **أحي والداك؟** قال: نعم: قال: **ففيهما فجاهد**».[1]

وما هذا إلا لمكانة البر بالوالدين، وهذا ما فهمه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، فإن شيخ الإسلام ابن المنكدر قال: بات أخي «عمر» يصلي وبت أغمز قدم أمي، وما أحب أن ليلتي بليلته).[2]

أما وقد قلبت الموازين، واضطربت الأولويات، فإن مواصلة الوالدين أصبحت -للأسف- على هامش الأعمال.

فكل الأمور تلبى، أما أمورهما فتوضع في آخر القائمة استهانة بها أو إهمالاً ولا مبالاة بحجة أنهما من الأهل والأقارب. وذلك من العقوق. والعاجز عن بر والديه فهو عن غيره من الخير أعجز.

- والمرأة الصالحة لا تتبرم من انشغال زوجها عنها.

ولا تضيق ذرعاً بضيوفه فمن أولوياتها أن تهيء لزوجها الجو المناسب مما يعينه في أمور دعوته، تقتدي بأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها إذ كانت تصنع الطعام استجابة لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم كي يدعو بني عبدالمطلب وليعرض عليهم الإسلام.

ولا ترضى المسلمة أن تكون سبباً في تخلف زوجها عن واجب ديني:

---

١) أخرجه الإمام مسلم في البر.

٢) سير أعلام النبلاء ٥/٣٥٧.

ولنذكر حنظلة «غسيل الملائكة» قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: «**إن صاحبكم تغسله الملائكة، فاسألوا صاحبته** فقالت: خرج وهو جنب لما سمع الهيعة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لذلك تغسله الملائكة**»).

فالجهاد في سبيل الله أولى من طلباتها وبقائه لمؤانستها.

فلم تثبطه عن الجهاد... فالكل يتطلع إلى الباقية، ويبذل مهجته للفوز بها...

وهكذا كان جيل الذروة السابقة، فما أجدرنا بالقدوة الطيبة!

- **والمرأة المؤمنة من أولوياتها: أن تشد أزر زوجها للطاعة**، وإن لمست منه التقاعس عن تلك الفضيلة، تتودد إليه وتصوب مساره... ومن ذلك أنها تحبب إليه صلة الأرحام، فذلك سبيل إلى السعادة الأبدية.

وفي الدنيا، فإن إسعاد من حولنا سبيل إلى سعادتنا. ومن جرب عرف!

- منذ أيام كنت أستمع لبرنامج إذاعي... كانت إحدى النسوة تشكو بمرارة من أخيها الذي تغير بعد الزواج تغيراً كبيراً ومفاجئاً. كان كما وصفته أخته من المحسنين إليها. فإذا به ينقلب عليها، وكلما طلبت منه - حتى زيارتها تهرب وتملص!

فعلام تقطع الأواصر؟!

إن صلة الرحم من اليسير تحصيلها، فقد تحصل بالهاتف إن تعذر اللقاء. أما إنها لو تُذُكِّرت الآخرة -دار القرار- لتُرِكَ التهافت على الدنيا ولما قُطِّعت الوشائج بين أفراد الأسرة.

- أما (رجاء) فقد بدأت تشكو: لا أحد يسأل عن حالي، لا أحد يقوم بمواساتي في ظروفي القاسية.

كانت (رجاء) تأخذ أبناءها معها إلى بيت أخوالهم... وكلما ذهبوا عاثوا في البيت الفساد.. وأتلفوا الأدوات... وقد يضربون الصغار من أبناء أخوالهم. مما أدى إلى تعكير صفو الأسرة والشقاق فيما بين أفرادها.

فما كان من (رجاء) إلا أن قاطعت أخاها. ووجدت زوجته بدورها من ذلك فرصة أن ترد عليها وتقاطعهم بالمثل. لا سيما وأنها لم تجد من (رجاء) ضبط لأولادها وحسن توجيه وتأديب على وضعهم ذاك.

أما إنها -رجاء- لو فهمت الأولويات، لحاولت الإصلاح ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. وذلك بحسن توجيه أبنائها ومتابعتهم، أو مواصلة أخيها بدونهم، حتى لا تخسر أجمل ما في الدنيا من علاقات إنسانية.. لكن على نفسها جنت براقش!

هلا سألت نفسها لماذا -وحتام- يبقى أبنائي بدون تهذيب؟! وكيف أرقى بسلوكياتهم؟!

● وفي البيت المسلم **تؤدى الواجبات الاجتماعية التي تزيد من تلاحم المجتمع** وتراصه. وفي البيت المسلم يؤدّى ما على الإنسان من الحقوق ومنها: قضاء الحاجات لأخيه المسلم والقيام بها وذلك درجات:

أدناها: القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة. لكن مع البشاشة والاستبشار.

وأوسطها: القيام بالحواج من غير سؤال.

وأعلاها: تقديم حوائجه على حوائج النفس).[1]

فالصالحة تبذل جهدها لكشف الكرب عن المحتاجين، وتقدم عليها دون ضجر أو تأفف طمعاً في رضى الله ودوام نعمه عليها. فقد جاء في الحديث الشريف «**إن لله عند أقوام نعماً أقرها عندهم ما كانوا في حوائج المسلمين ما لم يملوهم. فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم**».[2]

---

١) مختصر منهاج القاصدين ١٠٠.

٢) رواه الطبراني، ينظر الترغيب والترهيب، ٣/٣٩٠.

المبحث الخامس
استغلال الوقت بما يرضي الله

الوقت وعاء لكل عمل منتج. لذا يجب استغلاله بما يرضي الله، لا سيما وهو عمرنا المحدود الذي سنسأل عنه:

روى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه. وماذا عمل فيما علم؟**».[1]

وقال الحسن البصري رحمه الله: يا ابن آدم إما أنت أيام مجموعة، كلما ذهب يوم ذهب بعضك!!.

أما ما نجده في حياتنا فالمتناقضات جمة:

(فلانة) تشكو من كثرة الأعباء وتزاحم الواجبات...

وشكواها المستمرة: ماذا أفعل؟ واجبات الزوج والأولاد تأخذ وقتي... والواجبات الاجتماعية تلاحقني... فمتى سأجد وقتاً للراحة من الأعباء الكثيرة؟!

و(علانة) تشكو من الفراغ القاتل، فلا عمل لديها لتعمله! (الطفش) يضيق صدرها، والنوم يهيب بها ليخرجها من مأزق الفراغ!!

ناموا الضحى فمتى المكارم ترتجى إن كان من طلب المكارم نائماً

حقاً متى ستقوم بواجباتها إذن؟!

ولو سئلت ماذا أعددت للقاء ربك؟!

---

١) أخرجه الترمذي وقال الألباني حديث حسن، ينظر صحيح الجامع الصغير، ٢/١٢٢١.

لردت من وراء أجهزة الترفيه الحديثة بإجابات لا تخلو من التسويف... عندما أكبر سأعمل الصالحات أو أحج بعد أن أبلغ سن الأربعين و...

أو ما درت أن الشيطان يعشعش في القلب الفارغ، وأن الفراغ مفسدة، يدفع للحسد والغيبة والشغل بالتوافه؟!

ورحم الله الإمام الشافعي إذ قال: «إذا لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل».

أما القلب العامر بالإيمان فلا فراغ فيه.

وإضاعة الوقت كما ذكر ابن القيم -رحمه الله-: أشد من الموت لأن إضاعة الوقت تقطع المرء عن الله والدار الآخرة. والموت يقطعه عن الدنيا وأهلها!

وأعظم الإضاعات كما ذكر إضاعتان هما أصل كل إضاعة:

إضاعة القلب، وإضاعة الوقت.

فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة. وإضاعة الوقت في طول الأمل. فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء الله».[1]

وفي واقع الأمة أمثلة كثيرة مؤلمة:

- في أحد الأيام، وبعد انتهاء الدوام المدرسي، عادت البنت إلى البيت... وإزاء قرعات الباب المتوالية وما من مجيب... خرجت الجارة من بيتها فنادت الصغيرة...

لقد كان معها ورقة تشعر الأم بضرورة القدوم للمدرسة لمناقشة تأخر الطالبة عن قريناتها..!

كان الأم لا زالت تغط في النوم العميق!!

---

١) الفوائد لابن القيم، ١١٢.

إن كثرة النوم تضيع الوقت وتورث الغفلة. ولقد أيقظ رسولنا المربي عليه صلوات الله وسلامه، أيقظ ابنته وقد رآها يوماً متصبحة مضطجعة قائلاً: يا بنية قومي ولا تكوني من الغافلين.

ومن تحب الدعة وتؤثر الراحة الموهومة لهي من أكثر الناس تهرباً من تحمل المسؤولية، وأكثرهن ضجراً وبؤساً!

فالنفس قد تضجر من الراحة كما تضجر من العناء. **والفائزة هي من تشغل نفسها في كل وقت بما هو أولى به،** وأنفع لها في معادها وتضن بوقتها أن يذهب في غير طاعة الله.

وقد قيل: من أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أمّله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه فقد عق يومه». وما أكثر العاقات لأيامهن!!

إن من المظاهر المؤرقة التي غزت أسرنا: قلة الاكتراث بالأوقات فالأسرة الحديثة، يفترض أن يكون لديها الوقت الكافي لتحسن الاستفادة منه. وذلك لقلة الالتزامات وكثرة وسائل الراحة... لكن الواقع خلاف ذلك!

لقد جاءتنا أمراض الأمم المعاصرة. فالمرأة تنهض من فراشها بتثاقل، ومن ثم تشكو من تراكم الأعمال...

تمضي الساعات في التواصل في (الانترنت)... ومن ثم فهي تجري وتجري ولا تجد الوقت (لراحتها المأمولة).. وتتساءل: أين يذهب الوقت ولا بركة فيه؟!

الفوضى تضرب أطنابها في بيتها وتعم كل مظاهر حياتها:

ففي العبادة تسوف وتبرر تقصيرها...

وفي واجباتها الاجتماعية لا تؤديها في حينها، أو هي سلبية حتى لأقرب الناس إليها! وفي بيتها الإهمال، وتتعلل بالأعذار وأنها مشغولة للغاية! حتى في مظهرها فثيابها غير لائقة.

فما الحل للتخلص مما يهدر الوقت؟:

أولاً: لا بد من برنامج للعمل اليومي وخطة لنتبعها لنسلم من وباء الكسل والتسويف. نضبط وقت الاستيقاظ، ونؤكد على أوقات الصلوات، والأعمال اليومية والوجبات والواجبات الاجتماعية والدعوية ومتابعة الأولاد.... الخ..

ونخطط جيداً وبكل دقة وبراعة، نعرف ما سنفعل فنسعى إلى تحقيقه. وذلك دون استعجال النتائج.. وبالصبر والاستعانة بالله نحصل على بغيتنا ونطور مهاراتنا ونحسن أسلوب حياتنا. فإن حسن التنظيم وعدم إهدار الوقت مما يساعد على العمل المنتج وتحقيق سعادة الأسرة.

والمرأة العاقلة الحكيمة تستفيد مهارات في إدارة الوقت:

فإن كانت مبتدئة في حياتها العملية فقد تدون ما نفذته من أعمالها، الأمر الذي يساعدها لمعرفة ما يلزمها عمله. وتتخلص مما يهدر الوقت من مكالمات تافهة ونحو ذلك. وتصبح بارعة في تدبير شؤون حياتها، مما يزيد من إنتاجها.

ولقد قيل لعمر عبدالعزيز يوماً: (أخر عمل هذا اليوم وقم به غداً).. فقال، رحمه الله، لقد أعياني عمل يوم واحد. فكيف إذا اجتمع علي عمل يومين؟!

أو ليس مؤسفاً أن يكون عطاء الأوروبي (٧) ساعات يومياً، بينما لا يتجاوز عطاء المسلم (٣٠) دقيقة!!

وأسفاه! إن أمتنا بأسرها لتعاني من مغبة التسيب وإضاعة الأوقات، والذي تعيشه المرأة فضلاً عن الرجل.

فالواجب للاستفادة من الوقت كما ينبغي، ترتيب الأولويات، لتجعل الأمور التافهة أقل أهمية. نحسن التخطيط، وننفذ ما يمكن من مخططنا مع مرونة كافية، تجعلنا لا نشعر أننا مغلوب على أمرنا.

ثانياً: علينا أن لا نجعل أمورنا تحت رحمة الآخرين وحسب أولوياتهم: فلا نركن إليهم يضيعون أوقاتنا ويعبثون بها، ولا نجعل المجاملات الاجتماعية ولو تافهة من أولى الأولويات. فإن من أكبر مضيعات الوقت الاستسلام للأمور العاجلة والطارئة التي يجدها الإنسان أمامه كل يوم. فهذا الاستسلام يسلب الإنسان فاعليته ويجعل وقته ملكاً لغيره).(١)

أما من تهرع إلى الهاتف كلما سمعت رنينه لتمضي قرابة الساعة في ثرثرة لا طائل تحتها.. ثم لا تجد الوقت للقراءة، أو لإنجاز الأعمال المقررة.. أو لتطوير مهاراتها.. أو تشكو من احتراق الطعام أثناء المكالمة! فإن أول واجباتها أن:

- تتعلم الاعتذار وتتخلص بلباقة مما لا ضرورة له.

أنا لا أقول نتهرب من الآخرين، لكن لا يعني ذلك الرضوخ لرغبات الأخريات وإهدار وقتنا لكل من هب ودب.

فلنحدد أوقات الاتصال لتصبح بعيدة عن الأنشطة المهدرة للوقت..

أو لتقفل الموقد عند المكالمة الهامة، وتكون المكالمة بالقدر اللازم.

وكذلك الأمر في الزيارات التافهة أو السهر الطويل...

أما إنه لو طبقت الأولويات لاستراح الناس ولأسعدوا غيرهم...

ثالثاً: الاستعانة بالأخرين الأكفاء مما يوفر الوقت المناسب شريطة أن يكونوا أهلاً لذلك. فلا تعمل المرأة كل شاردة وواردة.

ولا تكلف نفسها بعمل يمكن لولدها الصغير أو للخادمة عمله. فتحسن توزيع المسؤولية ليتحملها كل حسب طاقته.

أما أن يصل الهوس في العمل بالبعض حد الوسوسة، حيث تخشى المرأة

---

١) العادات العشر للشخصية الناجحة، ٣٣٤.

تفويض أي مهمة إلى غيرها، فتضيع وقتها في أعمال بسيطة، فذلك ينافي الحكمة المطلوبة.

هلا طورت نفسها وعودتها الأفضل؟!

إنها مديرة البيت، لا عاملة لكل ما فيه من أعمال...

مع التأكيد على أن طلب المساعدة إنما يكون بقدر الحاجة، تأسياً بسلفنا الصالح:

عن أبي مسلم الخولاني، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ألا تبايعون رسول الله؟!**».

قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟... الحديث وفيه: «**ولا تسألوا الناس شيئاً**».

فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه).[1]

وبالخبرة والمراس تسير الأمور ببساطة وانسيابية. وبالتعاون المتبادل مع الآخرين تخف ضغوط الحياة، ولا يذهب الوقت أدراج الرياح.

رابعاً: سد منافذ الشيطان وذلك بصد أبواب النزاع والخلاف المهدر للطاقة والفكر والوقت.

فالشجار يعطل عن المهام الأهم وذلك في كل مجال من مجالات الحياة وذلك في الأسرة آكد وأوضح وأسوأ الوساوس ما كانت بين الأزواج، ولقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه. فأدناه منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم**

---

١) أخرجه الإمام مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة.

فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً. ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته».

فيدنيه ويقول: نعم أنت. فيلزمه. (رواه مسلم وغيره)

نعوذ بالله من شر الشياطين.

فتبذل جهدها لتبعد أسرتها عن كل نزاع، والأولى أن توصد أبواب الخلاف وذلك بالظن الحسن ما أمكن ذلك:

قال عمر رضي الله عنه: «لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملاً».

وقال ابن المبارك رحمه الله: المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العثرات.

فبالصبر والإحسان والظن الحسن تتآلف القلوب، وتستقيم أحوال الأسر وهي عمدة المجتمعات البشرية.

خامساً: اعتبار الأحوال والأوقات في ترتيب الأولويات:

فنعمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته وهي كما ذكرها الإمام ابن القيم رحمه الله:[1]

- الأفضل في وقت حضور الضيف مثلاً، القيام بحقه والاشتغال عن الورد المستحب وكذلك في أداء حق الزوجة (الزوج) والأهل.
- والأفضل في أوقات السحر: الاشتغال بالصلاة والقرآن والذكر والاستغفار.
- والأفضل في أوقات الأذان: ترك ما هو فيه من ورده والاشتغال بإجابة المؤذن.
- والأفضل في أوقات الصلوات الخمس: الجد والنصح في إيقاعها على أكمل وجه والمبادرة إليها في أول الوقت.

---

١) تهذيب مدارج السالكين، ٧١-٧٢.

- والأفضل في ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه أوالبدن أو المال: الاشتغال بمساعدته ، وإغاثة لهفته، وإيثار ذلك على أورادك.
- والأفضل في وقت قراءة القرآن: جمع القلب والهمة على تدبره وتفهمه حتى كأن الله تعالى يخاطبك به. فتجمع قلبك على فهمه وتدبره والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية من جاءه كتاب من السلطان بذلك.
- الأفضل في وقت الوقوف بعرفة: الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر دون الصوم المضعف عن ذلك.
- والأفضل في أيام عشر ذي الحجة: الإكثار من التعبد، لا سيما التكبير والتهليل والتحميد، فهو أفضل من الجهاد غير المتعين.
- والأفضل في العشر الأخيرة من رمضان: لزوم المسجد فيه والخلوة والاعتكاف. دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم. حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء.
- والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته، عيادته وحضور جنازته وتشييعه.
- والأفضل في وقت النوازل وأذاة الناس لك: أداء واجب الصبر من خلطتك بهم دون التهرب منهم. فإن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يؤذونه. والأفضل خلطتهم في الخير فهي خير من اعتزالهم فيه. واعتزالهم في الشر فهو أفضل من خلطتهم فيه. فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله أو قلله، فخلطتهم حينئذ أفضل من اعتزالهم.

فالأفضل في كل وقت وحال إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه».[1]

---

1) تهذيب مدارج السالكين، ص٧١-٧٢، كتبه ابن القيم وهذبه عبدالمنعم صالح العزي، ط١، نشر مكتبة السراذي، جدة، ١٤١٣هـ.

ولقد قيل: من الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الأهم.

وقال ابن الجوزي، رحمه الله،: إيثار ما ليس بمهم على المهم، من تلبيس إبليس).[٢]

١) تلبيس إبليس، ١٣٤.

الخاتمة..

ليس المهم الحياة، أية حياة.. وإنما أن نرقى بها لتحقيق أهدافنا، وأداء رسالتنا في عمارة الأرض وعبادة الله وحده لا شريك له.

والخير لا زال باقياً في أمة الإسلام، وسيبقى إلى يوم الدين بإذن الله. والمسلمة الصالحة امرأة مباركة، تعمل بهدي هذا الدين، وتجاهد نفسها حتى يسلس قيادها، وتزكيها لتستقيم لأمر الله.

تؤثر محاب الله على محابها، تحب في الله، وتبغض في الله، وترضى بما قسمه الله، وهذا منطلق عقدي يتمايز فيه الناس.

- توازن بين الحق والواجب، فتعمل واجبها دون تسويف ولا تأخير ولا عجلة ولا اندفاع، ولا شكوى ولا تذمر.. فتحظى برضى الله وزواج سعيد وأسرة مستقرة، أو ذرية صالحة بإذن الله تعالى.
- تعتني بأسرتها وتطيع زوجها في غير معصية وتتعاون معه على البر والتقوى تستثمر أوقاتها لعبادة ربها بما يناسب ذلك الوقت، فتحسن تنظيم أوقاتها وهي تعلم أن كل يوم يمر يقربنا من الدار الآخرة، فلا تجعله يذهب هباء فضلاً عن أن تحمل أوزاره.
- ولا تألو جهداً في إتقان عملها، وزيادة الصلة بكتاب الله وسنة رسوله.

- **إن فهم الأولويات يمكننا من فعل ما نريد وبقدر ما نطيق..** وبقدر ما تكون أهدافنا في الحياة سامية، وبقدر ما تكون القيم فاضلة ومتوازنة، بقدر ما نحقق السعادة والراحة والطمأنينة.

- نعطي كل أمر حجمه الطبيعي: فلا تسويف في الصالحات، ولا اهتمام بالتوافه. فلا تأخذ اهتمامات الزينة فالهندام والخياطة والتخسيس نفس المرأة وقلبها.

نحسن التخطيط لنزكي أنفسنا، وننمي قدراتنا. ونضع جدولنا موضع التنفيذ ما أمكننا ذلك.. ولا بد أن نلمس جدواه بإذن الله:

قلوباً خالصة لله، ونفوساً زكية.. وحياة سهلة رخية.. ونجاحاً في الدنيا، والفوز والفلاح بالآخرة.. وما ذلك على الله بعزيز.

نسأل الله تعالى أن يجعل من بيوتنا قلاعاً حصينة تواكب تطلعاتنا، وتنهض بصحوتنا المباركة، وتعمر حضارتنا الزاهرة، وأن تكون نسوتنا جميعاً من بُناتها وجزءاً من الحل المنشود.. لا من المشكلة التي أعيت كثيراً من المصلحين، والله من وراء القصد.. إنه سميع مجيب.

«وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين».

• • •

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

أسعار خاصة للتوزيع الخيري والطبعات الخاصة

صدر حديثا للمؤلفة

